المذهب الأدبي الوسط

دكتور

يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

أستاذ الأدب والنقد المساعد

في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمد الله العظيم، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين ،سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن سلك طريقهم، واهتدى بهديهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، وبعد:

فالدارس للتاريخ الإنساني يجد حركة تتخبط في السبل بين إفراط وتفريط، فسياسيًّا من دكتاتورية إلى ديمقراطية، واقتصاديًّا من رأسماليَّةٍ إلى اشتراكية، واجتماعيًّا من فردية إلى جماعية، وأخلاقيًّا من مادية إلى روحية، أو من عقلية إلى شعورية، ودينيًّا من إلحاد إلى تعدد للآلهة، ومن تقصير إلى غلوٍّ، وأدبيًّا من سوقية إلى حوشية في قضايا الشكل، ومن قصور إلى إحالة في قضايا المضمون.

والوسطية هي الحل المثالي لهذه الأطراف جميعاً، وهي منهج مثالي لأمة الإسلام، تطبقه في العقائد والتشريعات والأحكام، في العبادات والمعاملات ، في الفضائل والأخلاق، وهي تَعني الاعتدال والمواءمة بين شيئين بحيث لايطغى أحدُهما على الآخر، ولاينفرد بالتأثير فيأخذ أكثر من حقه، ويطغى على الطرف المقابل.

فالإسلام وسط بين الأديان جميعاً، ليس فيه تقصير اليهود وتفريطهم، كما ليس فيه غُلُوُّ النَّصارى وإفراطهم.

وهذه دراسة عن «المذهب الأدبي الوسط»، أردت من خلالها إبراز مكانة الوسطية في الإبداع الأدبي ونقده، من خلال استعراض آراء المبدعين والنقاد قديماً وحديثاً، وقراءة آرائهم في مقاييس الجودة والرداءة لعناصر الشكل والمضمون في الأعمال الأدبية، فجاءت هذه الدراسة في: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

أما المقدمة فقد أوضحت فيها مكانة الموضوع وأهميته ودوافع كتابته، مبرزاً خطته ومنهجه الذي سار عليه.

ثم جاء التمهيد بعنوان: «مفهوم المذهب الأدبي»، عرضت فيه مفهوم المذهب في اللغة واصطلاح العلماء، ثم بينت أبرز دلالاته الأدبية، والتي تمثلت في عدة اتجاهات، هي: اتجاه الإبداع وبناء القصائد، واتجاه صياغة معاني الشعر وأغراضه، والاتجاه الفكري والأسلوبي.

والفصل الأول بعنوان: «الوسطية مفهوم وتاريخ»، عرضت فيه مفهوم الوسطية في لغة العرب، وفي القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، وعند أهل العلم على اختلاف تخصصاتهم، موضحاً أن الوسطية منهج مثالي في كل جوانب الحياة، وختمت الفصل بالتفريق بينها وبين التعادلية.

والفصل الثاني بعنوان: «الوسطية في الألفاظ والأساليب»، عرضت فيه الوسطية في قضايا الشكل ممثلة في الألفاظ والأساليب، وبينت أن الوسطية في منازل التعبير تسمو على التفريط والإفراط، وأنها ليست نقطة بين طرفين، وإنما هي فضاء متسع بين هذين الطرفين، يتبارى المبدعون فيه للتعبير عن مكنون نفوسهم شريطة ألا يهبطوا إلى السوقية، أو يبلغوا حد الحوشية، ثم ختمت الفصل بعرض أبرز الأساليب التي وصلتنا عن العرب، والتي تتمثل في: الأسلوب السوقي، والأسلوب الحوشي، وهما الطرفان، ثم تأتي المنزلة الوسط بعدة أساليب ذكرتُ منها الأسلوب السهل، وهو أقرب مايكون إلى الأسلوب السوقي، والأسلوب الجزل وهو أقرب مايكون إلى الأسلوب الحوشي، وعرضت بعض الشواهد لكل نوع من أنواع تلك الأساليب.

والفصل الثالث بعنوان: «الوسطية في المعاني والأغراض»، عرضت فيه الوسطية في قضايا المضمون ممثلة في المعاني والأغراض، وبينت أن المعاني تمثل المعاني الجزئية، بينما تدل الأغراض على المعاني الكلية، وتعد منزلة التوسط والاقتصاد المنزلة الوسط بين

طرفين هما: القصور أو التفريط، والغُلُوُّ أو الإفراط، وأوضحت آراء العلماء في ضرورة المبالغة في الإبداع شريطة عدم بلوغها حد الإتيان بالمحال، ثم عرضت بعض النماذج لكل منزلة من هذه المنازل.

وبعد هذا جاءت الخاتمة بعنوان: «سمات الإبداع الأدبي الوسط»، عرضت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها، ثم فرقت بين «وسطية أرسطو»، و«الوسطية العربية»، كما قارنت بين مفهومي«الوسطية» و«التعادلية» في مجال الإبداع الأدبي ونقده.

أسأل رب العزة (سبحان) أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن يكتب له القبول، وأن يجزي خيراً كل من ساهم في إخراجه، وأن يجعله ذخراً لي يوم ألقاه، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

دكتور

يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

التمهيد
مفهوم المذهب الأدبي

المذهب في اللغة:الأصل والطريقة، والمعتقد الذي يُذْهَبُ إليه، وتمذهب بالمذهب: اتَّبعه، والمذهب: المُتوضَّأ؛ لأنه يُذْهَبُ إليه، وهو مصدر كالذهاب[١].

واختلف مفهومه الاصطلاحي بين الدارسين كل حسب تخصصه وما يُعنى به من علوم، فعرف العلماء المذهب بقولهم، هو:«معتقد دينيٌّ أو أدبيٌّ، فلسفيٌّ أو سياسيٌّ، يكون عبارة عن مجموعةٍ من الآراء والنَّظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضُها ببعض ارتباطاً يجعلها وحْدة منسقة»[٢]. أو هو: «مجموعة مبادئ وآراء متصلة ومُنسَّقة لمفكِّر أو لمدرسة، ومنه المذاهب الفِقْهِيَّة والأدبية والعِلْمية والفلسفية »[٣]. والمذهب (أيضاً) هو: «الاتجاه الذي يتبناه المرء في مجال من مجالات الحياة سواء كان اعتناقه لهذا الاتجاه أو لتلك الطريقة عن اتباع أو عن ابتداع، وإن كان السلوك الثاني أولى بالمذهب من غيره، لأن المذهب يتضمن الانفراد بطريقة خاصة في العقيدة الدينية أو الفكرية أو الفنية والتميز بها عن الآخرين»[٤].

وفي المجال الأدبي نجد دلالات متعددة للمذهب، لعل من أبرزها:

(١) لسان العرب: ٣/ ١٥٢٢ – ١٥٢٣ مادة: ذهب

(٢) قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية:٣٥٢

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ٣٤٦

(٤) المصطلح النقدي في نقد الشعر: ١٨٠

١. اتجاه الشاعر في الإبداع وبناء القصائد:

ويراد بالمذهب هنا الطريقة الإبداعية التي يصوغ فيها الشاعر إبداعه، يظهر ذلك في قولهم: «مذهب أبي تمام»، ومرادهم اهتمامه بالبديع، والإغراب في المعنى، والتكلف الشديد، والخروج على عمود الشعر، وهذا يخالف أشعار الأوائل، و«مذهب البحتري»، ومرادهم تجنبه التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام، فهو أعرابي الشعر يشبه أشعار الأوائل، ويُمَثِّلُ عمود الشعر العربي، ويقول أبو الفرج الأصفهاني عن مذهب منصور النمري: هو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويتُهُ، وعنه أخذ، ومن بحره استقى، وبمذهبه تشبَّه[١].

ولايخفى أن مذهب البديع أخذت بوادره تتضح عند مسلم بن الوليد، ثم عند بشار بن برد وأضرابهما ممن بالغو في والصناعة اللفظية والمعنوية، والاستعارات البعيدة، والمعاني المولدة، وهذا يخالف مذهب الأوائل الذي يتجنب كل صور التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام.

كما يراد بالمذهب (أيضاً) طريقة الشاعر في إبداع القصائد، يظهر ذلك في قول ابن قتيبة: «وليس لمتأخِّر الشعراء أَنْ يخرج عن مَذْهب المُتقدِّمين في هذه الأقسام، فيقف على منزلٍ عامر، أو يبكي عند مُشَيَّدِ البنيان؛ لأنَّ المتقدِّمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافي، أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما؛ لأنَّ المتقدِّمين رحلوا على الناقة والبعير»[٢].

٢. اتجاه صياغة معاني الشعر وأغراضه:

ولعل هذا المفهوم هو الشائع بين الأدباء والنقاد قديماً وحديثاً، يظهر ذلك في قول ابن سلام في مديح كُثَيِّرٍ: «رأيت ابن أبي حفصة يُعْجبه مذهبه في المديح جدًّا، يقول: كان

(١) أخبار أبي تمام: ٣٧، الموازنة: ١/ ٦، ١٤، الأغاني: ١٣/ ١٤٠

(٢) الشعر والشعراء: ١/ ٧٦

يستقصي المديح»[١]، وقول علي بن أبي طالب س: «كل شعرائكم محسن ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك»[٢].

كما يطلق المذهب على الاتجاه الفني في صياغة الأغراض الشعرية، وهو مراد هذه الدراسة، ويقصد بالاتجاه الفني طريقة التعبير، بالغلو أو الابتذال أو الاقتصار على الحد الأوسط، يقول قدامة: «وأقدم أمام كلامي في هذه الأقسام قولاً يحتاج إلى تقديمه، وهو أني رأيت الناس مختلفين في مذهبين من مذاهب الشعر، وهما: الغلو في المعنى إذا شرع فيه، والاقتصار على الحد الأوسط فيما يقال منه»[٣].

٣. الاتجاه الفكري والأسلوبي:

يظهر ذلك في تعريف المذهب بأنه: «اتجاه فكري أو تعبيري، له خصوصيات في المضمون والأسلوب، ينضوي تحته أعلام من الفلاسفة أو الأدباء، يطبقون أصوله، ويرفدونه بخصوصياتهم تأثراً وتأثيراً»[٤].

أو بأنه: «مجموعة مبادئ وأسس فنية يدعو إليها النقاد، ويلتزم بها الكتاب في إنتاجهم، تربط الأدب في شكله ومضمونه بمطالب العصر وتياراته الفكرية، وهي لدى الداعين إليها والمنتجين على مقتضاها بمثابة العقيدة الممثلة لروح العصر، وهي لذلك ليست مفروضة على الكتاب والنقاد من خارج نطاق العمل الأدبي ومطالب جمهوره

(١) طبقات فحول الشعراء: ٢/ ٥٤٠

(٢) المصطلح النقدي في نقد الشعر:١٨١

(٣) نقد الشعر: ٥٨

(٤) مذاهب الأدب معالم وانعكاسات: ١٥

المتوجه به إليه، فوراء الأسس الفنية التي لامجال للتطويل بذكرها تيار فكري يتخلل روح العمل الأدبي، ويؤثر تأثيراً عميقاً في صوره الفنية ومضمونه »[1].

أو بأنه: «الطريقة التي يصور بها الأديب إحساسه، ويؤثرها على غيرها في إخراج أفكاره وصياغتها، فالمذهب نزعة فكرية وفنية تظهران في فن الأديب ظهوراً تلقائيًّا لاتكلف فيه ولا صنعة، لأنه جزء من طبيعته، وخلية حية في تكوينه العاطفي، وما بالذات لايتخلف كما يقولون»[2].

أو بأنه: «اتجاه في التعبير الأدبي، يتميز بسماتٍ خاصةٍ، ويتجلى فيه مظهر واضح من التطور الفكري، ويقوم على دعائم من العقل والعاطفة والخيال، وقد يتاح لإحدى هذه الدعائم في عصر من العصور غَلبةٌ وسلطان، فإذا هي مذهب أدبي سائد يستعلي على غيره من مذاهب التعبير، وعلى هذا تتعاقب المذاهب الأدبية بتعاقب العصور»[3].

وهو بهذا المفهوم يشمل جوانب الفكر المختلفة.

ولعله من الواضح أن لكل أديب مذهبه في التعبير، وهذا المذهب لا يشترك فيه مع غيره من الأدباء، لأن لكل منهم استقلاله في الشعور بالمعنى، وطريقته في تصويره، والمذهب الأدبي يختلف عن المذهب النقدي، لأن الأخير يعد فهماً أو دراسة للأدب على ضوء مذاهبه المتقدمة، وهو حين يستعين في فهم الجمال الفني لا يقتصر جهده على طبيعة المذاهب الأدبية وحدها، وإنما يستعين على ذلك بوسائله الخاصة التي يراها تكشف سر الجمال الأدبي، وتساعد على ترجمة الذوق والإحساس بالروعة التي تجري في الشعر والنثر على سواء[4].

(١) قضايا معاصرة في الأدب والنقد: ٥

(٢) معالم النقد الأدبي: ١/ ٣١، مذاهب النقد وقضاياه: ٣٨

(٣) في النقد الأدبي: ٢٤٣ بتصرف

(٤) مذاهب النقد وقضاياه: ٣٩ بتصرف

ومذاهب النقد متعددة لاختلاف وجهات نظر النقاد في مجال النقد، وعدم التقاء أفكارهم في نقطة واحدة من حيث البدء والنظر إلى الوسائل، وإن كانوا يلتقون جميعاً في غاية تجمعهم هي الإفصاح عما في النصوص من جودة ورداءة، فهم يمارسون النقد في ظلال سيطرة ثقافة بعينها على أفكارهم وعواطفهم، هذه السيطرة الثقافية تمدهم بوسائلها ومناهجها الخاصة في دراسة الأدب وتقويمه، فيختلف مذهب عن مذهب بسبب نوع الثقافة واختلاف الوسائل ونزعات النقاد، والناقد الفذ هو من يجيل خاطره في كل هذه المذاهب؛ ليستعين بما يستقيم له منها على تفسير النصوص الأدبية، والحكم لها أو عليها[1].

وبهذا ندرك أن المذهب الأدبي تتسع دلالته لتشمل طريقة الشاعر في التعبير الأدبي عامة شعراً ونثراً، وتضيق لتشمل اتجاهه الفني في هذا التعبير كمذهب البديع أو التوسط، كما أن المذهب النقدي يقصد به طريقة الناقد في معالجة قضايا النقد الأدبي، وهو أثر من آثار المذاهب الأدبية التي يؤمن بها الناقد.

(١)معالم النقد الأدبي:١/ ٣٢- ٣٣، مذاهب النقد وقضاياه: ٣٩ بتصرف

الفصل الأول
الوسطية مفهوم وتاريخ

تدور مادة «وسط» في لغة العرب حول عِدَّةِ دلالات مُتقاربةٍ، لعلَّ من أبرزها:

١. الخيارُ والأجود:

يقال: مرعىً وَسَطٌ، أي: خيارٌ، قال الشاعر:

إِنَّ لها فَوَارساً وفَرَطاً وَنَفْرَةَ الحَيِّ وَمَرْعَىً وَسَطاً

ورجلٌ وسيطٌ: حسن، وواسطة القلادة: الجوهر الذي وسطها، وهو أجودها[١].

٢. العدلُ والنصف:

قال ابن فارس: الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: العَدْل، والنِّصْفِ، وأعدلُ الشيء أوسطُهُ ووسطُهُ، والعدل في حقيقته: توسط بين الطرفين المتنازعين أو الأطراف المتنازعة دون ميل أو تحيز إلى أحدهما أو أحدها[٢].

قال زهير في المدح:

هُمُو وسطٌ يرضى الأنامُ بحُكمهم إذا نزلتْ إحدى الليالي العظائمُ

يصفهم بالعدل والقسط وعدم التحيُّز[٣].

(١) مادة «وسط» في لسان العرب: ٦/ ٤٨٣١- ٤٨٣٤، والصحاح:٣/ ١١٦٧

(٢) مادة «وسط» في مقاييس اللغة: ٦/ ١٠٨، ولسان العرب: ٦/ ٤٨٣١- ٤٨٣٤

(٣) الخصائص العامة للإسلام: ١٣١- ١٣٢

٣. الحَسَب والشَّرَف:

يقال: فلان من أوسط قومه: أي من أشرفهم وأرفعهم مجداً، وأحسبهم وأوسطهم نسباً، قال العَرْجِيُّ:

كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيطاً ولم تَكُ نِسْبَتِي في آلِ عَمْرٍو[١]

٤. مابين الجيِّدِ والرَّدِيءِ:

يقال: شيءٌ وسَطٌ، أي: بين الجيد والرديء، قال ابن الأثير: كُلُّ خَصْلَةٍ محمودة فلها طرفان مذمومان، فإن السَّخاءَ وسط بين البخل والتبذير، والشَّجاعةَ وسط بين الجبن والتَّهوُّرِ[٢].

قال أبو مهدية الأعرابي وقد سُئل عن طعام، فقال: ليس بخسيس ولا نفيس، وقيل لإسحاق الموصلي: قد خبرت فلاناً فكيف هو؟ فقال: ليس في الكمال كما تهوى، ولا في التخلف كما تخشى[٣].

وقال الشاعر:

عَلَيْكَ بأَوْسَاطِ الأُمورِ فَإِنَّها نَجَاةٌ ولا تَرْكَبْ ذَلُولاً ولا صَعْباً[٤]

وقال أبو العتاهية:

(١) مادة «وسط» في الصحاح: ٣/ ١١٦٧، والوسطية في القرآن الكريم: ١٥

(٢) مادة «وسط» في الصحاح: ٣/ ١١٦٧، والرأي الوسط في النحو العربي: ٢٧

(٣) محاضرات الأدباء: ١/ ٤٤٩

(٤) البيان والتبيين: ١/ ٢٥٥، والعمدة: ١/ ٣١٩

عَلَيْكَ بأَوْساطِ كُلِّ الأُمورِ وعُدْ عن الجانِبِ المُشْتَبِهْ[1]

ومن الأبيات التي تدل على الوسطية معني، قول زهير:

دونَ السَّماءِ ودونَ الأرضِ قَدْرُهُما دونَ الذُّنابى فلافَوْتٌ ولادَرَكُ[2]

وقول عنترة:

لامُمْعِناً هَرَباً ولامُسْتَسْلِمِ[3]

ولاتكون الوسطية في كل الأحوال «بين طرفين متقابلين أو متضادين، فإذا كانت الشجاعة وسطاً بين الجبن والتهور، وإذا كان الجود أو الكرم وسطاً بين التقتير والتبذير، فالظلم (مثلاً) ليس وسطاً بين طرفين متقابلين، وإنما هو مقابل العدل، والصدق ليس وسطاً بين طرفين متقابلين، وإنما هو مقابل الكذب، وكذلك الأمور الفكرية والنفسية والأمور السلوكية قد يصعب فيها تحديد هذه البينية»[4].

ولعل فهم بعض الدارسين «الوسطية» على أنها منتصف الشيء، دون أن يكون بالضرورة أفضله وأحسنه، جاء نتيجة الخلط بين معنى«وَسَط» (بفتح السين) التي تفيد معنى: العدل، والفضل، والخير، والجودة، والحسب، والشرف، والاستقامة ...وغيرها من المعاني، وبين كلمة «وَسْط» (بسكون السين)، التي تأتي ظرفاً لا اسماً جاء على وزن نظيره في المعنى، وهو«بَيْن »، تقول: جلستُ وسْطَ القوم، أي بينهم، وإعرابها: ظرف مبنيٌّ على الفتح في محل نصب مفعول فيه متعلق بما قبله، بينما تأتي كلمة «وَسَط» (بالفتح) اسماً أو صفة، تقول: وَسَطُ المرعى خير من طرفيه، وَوَسَطُ الدابة

(١) محاضرات الأدباء: ١/ ٤٤٩

(٢) التذكرة الحمدونية: ٧/ ٥٦

(٣) التذكرة الحمدونية: ٧/ ٥٦

(٤) دور القرضاوي في تأصيل الوسطية وإبراز معالمها:٢٠

للركوب خير من طرفيها لتمكن الراكب، وهي تعرب حسب موقعها في الجملة، نحو: زرعتُ وَسَطَ الحقلِ قمحاً، وَسَطَ: مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة، وهو مضاف، والحقلِ مضاف إليه، وقمحاً: تمييز، وهناك فرق آخر ذكره العلماء، وهو أن«وسْط» (بالسكون) لا تكون بعضاً لما تضاف إليه مثل «بين»، بخلاف«وسَط»(بالفتح)، التي هي بعض ما تضاف إليه، ألا ترى أن وَسَط الدار منها، ووَسْط القوم غيرهم[1].

قال سَوَّارُ بنُ المُضرِّبِ:

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لا حياءَ لَهُ ولا أَمانَةَ وَسْطَ النَّاسِ عُرْيَانَا

أي بين الناس[2].

ويعد «التوسط» حلاً مثالياً للتطرف في كل شئون الحياة، فإذا ظهر رأيان متطرفان أحدهما يوجب حكماً مطلقاً، والآخر يوجب نقيضه مطلقاً، كان التوسط هو الحل المثالي، في هذه الحالة، ومن هذه المعاني المتطرفة في الإبداع الشعري قول الشاعر:

ونحنُ أُناسٌ لا توسُّطَ بيننا لنا الصدرُ دون العالمينَ أو القبرُ

فالشاعر لا يرى نفسه وقومه إلاَّ فوق الناس جميعاً، أو بين الموتى في المقابر، والمنزلة الوسط أفضل من هاتين المنزلتين، وذلك بأن يعيش المرء مساوياً للناس، له مالهم وعليه ماعليهم، وهذا الموقف المتطرِّف للشاعر هو ذاته موقف كل متطرف في الدين أو السياسة...وغيرها من مواقف الحياة.

(١) ينظر في ذلك مقال: معنى وسطية الإسلام، د. أمين محمد خاطر، صحيفة صوت الأزهر، العدد (٤٣) الجمعة١٩ربيع الآخر١٤٢١هـ= ٢١يولية٢٠٠٠م ص٨ بتصرف واختصار

(٢) تاج العروس: ٢٠/ ١٦٧- ١٨٣ مادة: وسط.

«والوسطية كذلك دليل الخيرية، ومظهر الفضل والتمييز في الماديات والمعنويات، ففي الأمور المادية نرى أفضل حبات العقد واسطته، ونرى رئيس القوم في الوسط والأتباع حوله، وفي الأمور المعنوية نجد التوسط دائماً خيراً من التطرف...قال أرسطو: الفضيلة وسط بين رذيلتين»[1].

ومن هنا شاع وصف الإسلام بأنه دين الوسطية، لأنه وسط في تشريعاته وأحكامه، وقد تجلى ذلك (على سبيل المثال) في التوازن بين الفردية والجماعية، حيث تتوازن حرية الفرد ومصلحة الجماعة، وتتكافأ في مجال التشريع الحقوق والواجبات، وهذا نظام وسط عدل لايجور على الفرد لحساب المجتمع، ولا على المجتمع من أجل الفرد، لايدلل الفرد بكثرة الحقوق التي يمنحها له، ولايرهقه بكثرة الواجبات التي يفرضها عليه، يأمره بعبادة الله وحده وأداء جميع المناسك، كما يأمره (أيضاً) بالسعي في الأرض للعمل وطلب الرزق مع عدم الغفلة عن ذكر الله كثيراً في كل حال، نظر الإسلام إلى الإنسان على أنه مخلوق مركب، فيه العقل وفيه الشهوة، فيه روحانية الملاك، كما فيه (أيضاً) غريزة الحيوان، وتهيأ بفطرته لسلوك السبيلين، فإذا ماغلب عقله شهوته كان كالملاك، وإذا ما كان العكس كان كالحيوان أو أسوأ من الحيوان، وهذا يخالف ما عليه غير المسلمين، حيث نظر غلاة المثاليين للإنسان على أنه ملاك أو كالملاك، فوضعوا له من القيم والآداب مالايمكن له، وبين غلاة الواقعيين الذين حسبوه حيواناً أو كالحيوان، فأرادوا له من السلوك مالايليق به، فأولئك أحسنوا الظن بالفطرة الإنسانية فاعتبروها خيراً محضاً، وهؤلاء أساءوا الظن بها فعدوها شرًّا خالصاً.

(١) الخصائص العامة للإسلام: ١٣٣

لذا جاء التعريف الاصطلاحي للوسطية مؤكداً هذا المفهوم، حيث عرفها العلماء بقولهم: هي القصد المصون عن الإفراط والتفريط، وذلك بأن يتحرى المسلم الاعتدال، ويبتعد عن التطرف قولاً وفعلاً بحيث لايُقَصِّرُ ولايُغالي[1].

ويقول الدكتور محمد عمارة في تعريف الوسطية: «إنها الحق بين باطلَين، والعدل بين ظُلْمَين، والاعتدال بين تطرفَين، والموقف العادل الجامع لأطراف الحق والعدل والاعتدال، الرافض للغلوِّ إفراطاً وتفريطاً، لأن الغلو الذي يتنكَّب الوسطية هو انحياز من الغلاة إلى أحد قُطْبى الظاهرة، ووقوف عند إحدى كفتي الميزان»[2].

(١) موسوعة نضرة النعيم: ٤/ ١٣٥٣، إعداد: مجموعة من المختصين، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م بتصرف

(٢) معالم المنهج الإسلامي: ٧٧، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٩١م

الوسطية في القرآن الكريم:

وردت مادة «وسط» في القرآن الكريم في خمس آيات، هي:

١. قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[١].

وللأمة الوسط في الآية الكريمة عدة تفسيرات، من أبرزها: الأمة العادلة الخيرة، التي تتسم بالأفضلية المطلقة، بحيث تعلو على جميع الأمم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[٢]، إذ لا تعارض مطلقاً بين الآيتين، وكذا (أيضاً) أمة التوسط في الدين، فلا هم أهل غلوٍّ فيه كالنصارى، ولا أهل تقصير فيه كاليهود[٣].

٢. وقوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[٤]. وهي صلاة العصر على أرجح الأقوال[٥].

٣. وقوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ

---

(١) سورة البقرة: ١٤٣

(٢) سورة آل عمران: ١١٠

(٣) ينظر في تفسير الآية صحيح البخاري: كتاب التفسير، حديث رقم:٤٤٨٧، وأحاديث الأنبياء: حديث رقم:٣١٦١، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسن، باب وكذلك جعلناكم أمة وسطاً، حديث رقم: ٧٣٤٩، والترمذي: تفسير القرآن، حديث رقم: ٢٩٦١، ومسند الإمام أحمد: ٣/ ٥٨، وتفسير الطبري: ٣/ ٢٤٢، وتفسير ابن كثير: ١/ ٢٧٥

(٤) سورة البقرة: ٢٣٨

(٥) مختصر تفسير ابن كثير: ١/ ٢١٨

﴿ رَقَبَةٍ ﴾[1]. قال ابن عباس: أي من أعدل ما تطعمون أهليكم، وقال عطاء: من أمثل ما تطعمون أهليكم[2].

٤. وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾[3]. فأوسطهم في الآية الكريمة بمعنى: أعدلهم[4].

٥. وقوله تعالى: ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾[5]. وصف للخيل المغيرة في سبيل الله أنها توسطت المكان[6].

(١) سورة المائدة: ٨٩

(٢) مختصر تفسير ابن كثير: ١/ ٥٤٣

(٣) سورة القلم: ٢٨

(٤) تفسير الفخر الرازي: ٤/ ١٠٨ – ١٠٩

(٥) سورة العاديات: ٥

(٦) مختصر تفسير ابن كثير: ٣/ ٦٦٩

كما وردت آيات كثيرة أخرى تدل على التوسط معنىً، من هذه الآيات:

١. قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾[١]. أي لا كبيرة هرمة، ولا صغيرة لم يلحقها الفحل[٢].

٢. وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[٣]. أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم، فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا[٤].

٣. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[٥]. أي لا تكن بخيلاً مَنُوعاً لا تعطي أحداً شيئاً، ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك، وتخرج أكثر من دخلك، فتقعد إن بخلت يلومك الناس ويذمونك، ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير[٦].

٤. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[٧]. فالنهي هنا لرسول الله ﷺ عن الجهر بقراءة القرآن في الصلاة حتى لا يسمعه المشركون

(١) سورة البقرة: ٦٨

(٢) مختصر تفسير ابن كثير: ١/ ٧٧

(٣) سورة الفرقان: ٦٧

(٤)مختصر تفسير ابن كثير: ٢/ ٦٣٩

(٥) سورة الإسراء: ٢٩

(٦)مختصر تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٧٤- ٣٧٥

(٧) سورة الإسراء: ١١٠

فيسبوه، وكذا النهي عن المخافتة به حتى يسمعه من يريد من أصحابك ويأخذوه عنك[1].

٥. وقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[2]. فالنهي هنا لا عن الأكل والشرب، وإنما عن الإسراف فيهما، والخروج فيهما عن حد التوسط والاعتدال.

٦. وقوله تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾[3]. قال ابن كثير: «أي امش مقتصداً ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلاً ووسطاً بين بين»[4].

٧. وقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾[5]. فالإصلاح بالعدل والقسط يعني عدم ا الجور وهو جوهر الوسطية.

٨. وقوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾[6]. أي استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك، والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل بها الثواب في الدنيا والآخرة، ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ أي مما أباح الله فيها من المآكل

(١) مختصر تفسير ابن كثير: ٢/ ٤٠٥

(٢) سورة الأعراف: ٣١

(٣) سورة لقمان: ١٩

(٤) تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٨٨

(٥) سورة الحجرات: ٩

(٦) سورة القصص: ٧٧

والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقًّا ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، ولزوجك عليك حقًّا، فآت كل ذي حق حقه[١].

٩. وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ ﴾[٢]. فالمقتصد: المتوسط، «وهو المؤدِّي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات»[٣].

١٠. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[٤]. أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أُمرتم بتعظيمه، فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء، فجعلتموه إلاهاً من دون الله[٥].

١١. وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[٦]. فالقسطاس: العدل[٧].

١٢. وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾[٨]. فالقسط يعني العدل في الأخذ والعطاء عند البيع والشراء.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٣
(٢) سورة فاطر: ٣٢
(٣) مختصر تفسير ابن كثير: ٣/ ١٤٧
(٤) سورة المائدة: ٧٧
(٥) مختصر تفسير ابن كثير: ١/ ٥٣٧
(٦) سورة الإسراء: ٣٥
(٧) مختصر تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٧٧
(٨) سورة الأنعام: ١٥٢

١٣. وقوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾[١]، فالقسطاس: العدل[٢].

١٤. وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣]. فالاستقامة لزوم المنهج المستقيم المتوسط بين الإفراط والتفريط، وهي كلمة جامعة لكل ما يتعلق بالعلم والعمل وسائر الأخلاق.

١٥. وقوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ﴾[٤].

قال ابن كثير: «لما أمر بالإنفاق، نهى عن الإسراف فيه، بل يكون وسطاً»[٥].

١٦. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٦]. فالوسطية تظهر في دعاء هؤلاء القوم بطلب الحسنة في الدنيا والآخرة وعدم عزوفهم عن أحدهما، يقول ابن كثير: «جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شرٍّ...وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه»[٧].

١٧. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٨]. تحكموا بالعدل: أي

(١) سورة الشعراء: ١٨٢

(٢) مختصر تفسير ابن كثير: ٢/ ٦٥٧

(٣) سورة هود: ١١٢

(٤) سورة الإسراء: ٢٦

(٥) مختصر تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٧٤

(٦) سورة البقرة: ٢٠١

(٧) مختصر تفسير ابن كثير: ١/ ١٨٢

(٨) سورة النساء: ٥٨

بالحق، بما أمر الله، «هي للبر والفاجر، أي هي أمر لكل أحد...أمر منه تعالى بالعدل بين الناس»[1].

١٨. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[2]، أي: كونوا قائمين بالعدل، مهما كانت درجة قرابة المشهود عليه، فإنما هي شهادة لله، وبالعدل تسير الحياة في طريقها القويم، يقول ابن كثير: «يأمر الله عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط، أي بالعدل، فلا يعدلوا عنه يميناً ولا شمالاً، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه»[3].

١٩. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[4]. أي كونوا قوامين بالحق لله عز وجل لا لأجل الناس والسمعة، وكونوا ﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي بالعدل لا بالجور[5].

٢٠. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[6]،

(١) مختصر تفسير ابن كثير: ١/ ٤٠٦

(٢) سورة النساء: ١٣٥

(٣) مختصر تفسير ابن كثير: ١/ ٤٤٧

(٤) سورة المائدة: ٨

(٥) مختصر تفسير ابن كثير: ١/ ٤٩٤- ٤٩٥

(٦) سورة الحج: ١١

يعبد الله على حرف أي: على شك، وفي هذا ذم للتطرف والانحراف والخروج عن الجادة.

٢١. وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[١]، فالطَّيِّباتُ تحتمل وجوهاً كثيرة، يقولون: هذا ماء طَيِّبٌ، يريدون العُذوبة، وإذا قالوا للبُرِّ والشَّعير والأرز طيِّبٌ، فإنما يريدون أَنَّه وَسَطٌ وأنه فوق الدُّونِ[٢].

٢٢. وقوله تعالى: ﴿ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾[٣]. «وأصح الأقوال في قوله: ﴿ سُوًى ﴾ على قراءة الكسر والضم: أنه مكان وسط تستوي أطراف البلد فيه، لتوسُّطها بينهما، فلم يكن أقرب للشرق من الغرب، ولا للجنوب من الشمال، وهذا هو معنى قول المفسرين ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ أي نصفاً وعدلاً، ليتمكن جميع الناس أن يحضروا »[٤].

(١) سورة المائدة: ٨٧

(٢) الحيوان: ١/ ٣١٣، ٤/ ٥٧

(٣) سورة طه: ٥٨

(٤) أضواء البيان: ٤/ ٢٨

الوسطية في الحديث النبوي الشريف:

وردت الوسطية في الحديث النبوي الشريف في مواضع كثيرة تحتاج إلى دراسات متعددة منها ما جاءت بلفظها، ومنها ما جاءت بمعناها، فمن النوع الأول:

١. عن البَرَاءِ بن عازبٍ ب أنه قال: «كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: أَيُّ عُرى الإسلام أوسط؟ قالوا: الصلاة، قال: حسنة وماهي بها، قالوا: الزكاة، قال: حسنة وماهي بها، قالوا: صيام رمضان، قال: حسن وماهو به، قالوا: الحجُّ، قال: حسن وماهو به، قالوا: الجهاد: قال: حسن وماهو به، قال: إن أوسط عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله»(١).

٢. عن أبي الدرداء س قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه»(٢).

٣. عن عبد الله س قال: «خَطَّ النبي ﷺ خطًّا مربعاً، وخط خطًّا في الوسط خارجاً منه، وخط خُطَطًا صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي الوسط، وقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به (أو قد أحاط به) وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا»(٣).

٤. عن أبي هريرة س أنه قال، قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًّا على الله أن يُدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدَّها اللهُ للمجاهدين في سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماءِ والأرضِ، فإذا

(١) رواه أحمد في مسنده: ٤/ ٢٨٦، رقم: ١٨٥٥١، وانظر تخريجه في: نضرة النعيم: ٤/ ١٣٥٧

(٢) رواه الترمذي: ١٩٠٠، وقال صحيح، وابن ماجه: ٣٦٦٣

(٣) رواه البخاري في الرقاق: ٦٤١٧

سألتُمُ الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسطُ الجنَّةِ وأعلى الجنَّةِ، وفوقه عرشُ الرحمن، ومنه تفجَّرُ أنهارُ الجنَّةِ»[١].

ومما ورد من أحاديث تدل على الوسطية بمعناها دون لفظها:

١. عن عمر بن الخطاب **س** قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتُطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»[٢].

٢. عن عائشة **ل** أنها قالت: «إن النبي ﷺ دَخَلَ عليها وعندها امرأةٌ، قال: مَنْ هذِهِ؟ قالت: فلانةُ تذكرُ من صلاتها، قال: مَهْ، عليكم بما تُطيقون، فو الله لا يملُّ اللهُ حتَّى تملُّوا، وكان أحبَّ الدينِ إليه ماداومَ عليه صاحبُهُ»[٣].

٣. عن أنس بن مالك **س** أنه قال: «دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ماهذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلَّقت به، فقال النبيﷺ: حلوه، ليُصَلِّ أحدُكُمْ نشاطَهُ، فإذا فتر فليقعد»[٤].

٤. عن أبي هريرة **س** أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يُنجي أحداً منكم عملُهُ، قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة، سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا»[٥].

(١) رواه البخاري: ٢٧٩٠

(٢) رواه البخاري في كتاب الأنبياء: ٣٤٤٥

(٣) رواه البخاري في الإيمان: ١/ ٤٣، ومسلم في صلاة المسافرين: ٧٨٥

(٤) رواه البخاري: ٣/ ١١٥٠، ومسلم: ٧٨٤

(٥) رواه البخاري: ١١/ ٦٤٦٣

الوسطية عند أهل العلم:

الوسطية لهذه الأمة صفة ملازمة لها، في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، فشريعة الإسلام وسط بين الإلحاد وتعدد الآلهة، وسط بين من يسرفون في المادية ويهملون القيم الروحية، وبين من يسرفون في القيم الروحية ويهملون المادية، كما أنها فرضت على المسلم من العبادات مايمكنه القيام به دون الانصراف عن متع الحياة، وهذا شائع في المسيحية التي تفرغت للرهبنة والانقطاع عن الحياة، وهذه الوسطية شائعة (أيضاً) في المعاملات والتربية والأخلاق، لأنها تعكس نظرة الإسلام إلى الطبيعة الإنسانية، وأنها طبيعة جامعة بين الجسد والروح والعقل، وهي لا تربي جسم الإنسان في معزل عن روحه، ولا تربي روحه بعيداً عن عقله، بل إنها تعمل على تربيته ككل متكامل، «والخلق الفاضل إنما سمِّي وسطاً لا من حيث إنه خلق فاضل، بل من حيث إنه متوسط بين رذيلتين هما طرفا الإفراط والتفريط، مثل الشجاعة فإنها خلق فاضل، وهي متوسطة بين الجبن والتهور»[1].

وقد شاعت الوسطية لدى علماء هذه الأمة، واستمدوا ذلك من القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ، بالإضافة إلى أن الوسطية حالة محمودة في العقل الإنساني السليم بالفطرة، لأنها تعصم المرء من الإفراط والتفريط.

(١) مفاتيح الغيب: ٢ / ٢٩٢ ، وانظر: الوسطية في الإسلام: ٦٠، حيث نقل قول ابن مسكويه: إن الفضائل أوساط بين أطراف، وهذه الأطراف هي الرذائل، كالكرم، وسط بين البخل والإسراف.

من ذلك قول علي بن أبي طالب **س**: «خيرُ النَّاسِ هذا النمطُ الأوسطُ، يلحقُ بهمُ التَّالي، ويرجعُ إليهم الغالي»[١]، وقوله: «كن في الناس وسطاً، وامش جانباً»[٢]، وقوله: «وليكن أحبُّ الأمور إليك أوسطُها في الحق، وأعمُّها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية، فإن سُخط العامة يُجحف برضى الخاصَّةِ، وإن سُخط الخاصة يُغتفر مع رضى العامة»[٣]، وقوله: «أبقِ لرضاك مِنْ غضبك، وإذا طرتَ فقع قريباً»[٤].

وعن ابن عباس **ب** أنه قال: «ما عال(أي ما افتقر) مقتصد قط»[٥].

وقال وهب ابن منبه: «إن لكل شيء طرفين ووسطاً، فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر، فإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان، فعليكم بالأوسط من الأشياء»[٦].

---

(١) لسان العرب: ٨/ ٤٨٣٣، وتفسير الطبري، في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾، [سورة البقرة:١٤٣]، وفي سجع الحمام: ١٨١، النمط: النوع من الشيء، والطريقة، وجماعة أمرهم واحد، والنمط الأوسط هم الخيار، لأن بهم يلحق التالي، ويرجع إليهم المغالي، وخير الأمور الوسط.

(٢) سجع الحمام: ١٨١

(٣) التذكرة الحمدونية: ١/ ٣١٧

(٤) سجع الحمام:٣٥، وفي هامشه المراد: التوسط في حالة الرضا والسخط، والاعتدال في الإقبال والإدبار، فالتناهي في الرضا يقود إلى الإدلال، والتناهي في الغضب يؤدي إلى العداوة، وخير الأمور الوسط.

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٢٥٢

(٦) المقاصد الحسنة: ٣٣٢

وقال الحسن البصري: «خير الأمور أوساطها»[1] وفي رواية: «خير الأمور الأوساط»[2].

وقال أرسطو: «لافضيلة إلَّا في التوسط»[3].

وقال ابن مُفلح: «إنما يستعينُ الكريم على الإمساك بذكر الحاجة إلى الأنذال، وقيل لبعض الحكماء لِمَ يحفظ العقلاء المال؟ قال: لئلا يقفوا مواقف لا تليق بهم»[4].

وقال أبو الفرج: «التوسطُ في كُلِّ شيءٍ أجملُ، والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ»[5].

ومن طريف القول في ذلك ماذهب إليه عبد الكريم النهشلي من اختيار التوسط في السرقة، يقول: «واتكالُ الشاعر على السرقة بلادةٌ وعجزٌ، وتَرْكُهُ كلَّ معني سُبق إليه جهلٌ، ولكن المختار عندي أوسطُ الحالات»[6].

وكأن على الشاعر أن يتعمد السرقة، ولكن دون مبالغة فيها[7].

---

(١) المقاصد الحسنة: ٢٠٥، وكشف الخفاء: ا/ ٤٦٩، والتذكرة الحمدونية: ١/ ٢٤٢، ٧/ ٥٦، من كلام رسول الله ﷺ، وسجع الحمام: ١٨١

(٢) مجمع الأمثال: ١/ ٢٤٣، وجمهرة الأمثال:١/ ٤١٩، والمستقصى:٢/ ٧٧، والتذكرة الحمدونية: ٧/ ٥٦- ٥٧، وفيها: «الوسط محمود على كل حال إلا في العلوم، فإن الغايات فيها خيرٌ، وأولى، وقيل: سائر العلوم والصناعات ينفع فيها التوسط ولا يضر، كالنحو ليس يضرُّ- من أحسن باب الفاعل والمفعول، وباب الإضافة، وباب المعرفة والنكرة، أن يكون جاهلاً ببقية أبواب النحو».

(٣) دائرة معارف القرن العشرين: ١/ ١٦٤- ١٦٩

(٤) نضرة النعيم: ٤/ ١٣٦٥

(٥) الأغاني: ١٦/ ٣٨٣

(٦) العمدة: ٢/ ١٠٧٣

(٧) ينظر: مشكلة السرقات في النقد العربي: ١١٥، واختيار الممتع في علم الشعر وعمله: ٢٢-٢٣

وقيل (أيضاً) عن الوسطية في الكلام: «خير الكلام مالايكون عاميًّا سوقيًّا، ولاعربيًّا وحشيًّا»[1].

وبهذا ندرك مكانة الوسطية عامة في كل جوانب الحياة، كما أنها (أيضاً) منهج مثالي لأمة الإسلام، تطبقه في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، وهي تقوم على الاعتدال والمواءمة بين شيئين بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، ولا ينفرد بالتأثير فيأخذ أكثر من حقه، ويطغى على الطرف المقابل.

وتجدر الإشارة هنا إلى وجود تشابه كبير بين«الوسطية» و«التعادلية» التي ظهرت مفهومها في العصر الحديث[2]، وهي لاتعني «التساوي» كما يفيد معناها اللغوي، وإنما تعني «التقابل»، فالقوة المعادلة تحول دون طغيان موجود على موجود، سواء في الأرض بين الأجسام، أو في السماء بين الأجرام، هي قوة مقاومة مناهضة، لأن كل حركة يجب أن تقابلها حركة، وكل قوة يجب أن تقابلها قوة.

ومذهب «الابتلاعية» يقوم على ابتلاع الآخر والتغلب عليه، فالغرب يريد ابتلاع الشرق والتغلب عليه والشرق يقاوم، والاستعمار يريد ابتلاع الشعوب والسيطرة عليها والشعوب تقاوم، فالمقاومة هنا هي «التعادلية»، وهي (بهذا الفهم) تسعى إلى تطبيق الوسطية بين الأشياء.

وبهذا ندرك أن الوسطية هي صفة مميزة للأمة، وفيها تَأَسٍّ بالرسول ﷺ وبصحابته الكرام، وهي دليل كمال العقل وتمام الرشد في كل الأمم.

(١) محاضرات الأدباء: ١/ ٦١

(٢) انظر في مفهوم التعادلية كتاب: التعادلية مع الإسلام، توفيق الحكيم، مكتبة مصر ١٩٨٨م

الفصل الثاني
الوسطية في الألفاظ والأساليب

تمثل دراسة الألفاظ والأساليب أبرز معالجات قضايا الشكل في العمل الأدبي، ولايخفى مدي التنوع الذي تحظى به دراسة الألفاظ والأساليب في المعالجات النقدية، فالألفاظ تدرس من ناحية: دلالتها، وجزالتها، ودقتها في أداء المعنى، وإيحائها النفسي- لدى المبدع والمتلقي، وسهولتها، وشاعريتها...إلى غير ذلك.

وقد أفاضت كتب النقد في تلك المعالجات، والذي يعنينا منها هنا ماله علاقة بالوسطية، وهذا ما يعرض له النقاد في مصطلح الجزالة، وهي تعني التوسط بين السوقية والحوشية، وقد عدها النقاد من شرائط بلاغة الألفاظ والأساليب، يقول الجاحظ في شأن الألفاظ والمعاني: «فالقصد في ذلك أن تجتنب السوقيَّ والوحشيَّ، ولاتجعل همَّكَ في تهذيب الألفاظ، وشُغْلَكَ في التخلُّص إلى غرائب المعاني، وفي الاقتصاد بلاغٌ، وفي التوسط مجانبةٌ للوعورة، وخروجٌ من سبيل من لايحاسب نفسه...وليكن كلامُك بين المُقَصِّرِ والغالي؛ فإنك تسلم من المحنة عند العلماء، ومن فتنة الشيطان»[1].

وتتعدد صور الإبداع في هذا الفضاء الواقع مابين السُّوقية والحوشية، يُحلِّقُ المبدع في هذا الفضاء بحرية مطلقة شريطة عدم الهبوط إلى السوقية والتفريط والإسفاف، ودون بلوغ حد الحوشية والإفراط والإغراب، وقد أشار النقاد إلى أن الأديب الذي يلتزم هذا النهج هو الأديب التام الذي يتخذ «النمط الأوسط» مذهباً للإبداع، وقد أطلقوا على ذلك الأسلوب الذي يقع مابين السوقية والحوشية عدة مصطلحات، منها ماهو قريب من السوقية كالأسلوب السهل، ومنها ماهو قريب من الحوشية كالأسلوب الجزل، إلى

(١) البيان والتبيين: ١/ ٢٥٥

غير ذلك من المصطلحات التي تتعدد أسماؤها؛ ولكنها تدل جميعها على هذه المنزلة الوسط وهذا الفضاء الشاسع مابين السوقية والحوشية.

وقد ذكر النقاد عدة أسماء للأساليب، ولكنهم لم يوضحوا دلالة بعضها، يظهر ذلك في قول الجاحظ: «وكلامُ الناس في طبقاتٍ، كما أن النَّاسَ أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجَزْلُ والسَّخيفُ، والمليحُ والحسنُ، والقبيحُ والسَّمْجُ، والخفيفُ والثقيلُ؛ وكلُّه عربيٌّ، وبكُلٍّ قد تكلَّموا، وبكلٍّ قد تمادحوا وتعايبوا»[(١)].

والمراد بالكلام السوقي الكلام المبتذل، «نسبة إلى السُّوقِ، سُمِّيت بها لأنَّ التجارة تُجْلب إليها وتساق المبيعات نحوها، والسُّوقة بمنزلة الرَّعِيَّةِ خلاف المُلك، والسُّوقة من الناس: مَنْ لم يكن ذا سلطان»[(٢)].

والساقِطُ السُّوقي: «هو العاميُّ المُبتذل الذي يتحاشاه الشعراء والكُتَّابُ»[(٣)].

وقد يطلق على الأسلوب السوقي السَّفْسَافُ، وهو: العاميُّ أو الرديءُ، يقال: شعر سفساف، أي رديء[(٤)]، قال ثعلب: «فَأَمَّا جزالة اللفظ فما لم يكن بالمُغْرِبِ المُسْتَغْلَقِ البدويِّ، ولاالسَّفْسافُ العاميُّ، ولكن مااشتد أَسْرُهُ، وسَهُلَ لفظُهُ، ونأي واستصعب علي غير المطبوعين مَرَامُهُ، وتُوُهِّمَ إمكانُهُ»[(٥)].

---

(١) البيان والتبيين: ١/ ١٤٤، وقد أشار الدكتور: أحمد بدوي ، إلى ماذكره الجاحظ من أنواع الأساليب، وعلق علي ذلك بأننا لانعرف على وجه الدقة الفرق بين بعضها، كالسخيف والقبيح، والمليح والحسن والسميح، ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب: ٥٠١

(٢) لسان العرب: ٣/ ٢١٥٣- ٢١٥٦، مادة: سوق، ومعجم مصطلحات النقد العربي القديم: ٢٥٦- ٢٥٧

(٣) الوساطة: ٢٤، معجم مصطلحات النقد العربي القديم: ٢٤٨

(٤) لسان العرب: ٣/ ٢٠٢٩- ٢٠٣٠، مادة: سفف.

(٥) قواعد الشعر: ٦٦

والكلام الحوشي أو الوحشي، هو: الغريب الذي يقل استعماله، ورجلٌ حوشيٌّ: لايُخالط الناس ولايألفهم وفيه حوشية، ويسمى الوحشي نسبة إلى الوحش لنفاره، وعدم تَأَنُّسه وتَأَلُّفه، فالغريب الحوشي والوحشي بمعنى[1].

وقد يطلق على الحوشية أسماء أخرى، ذكر العسكري بعضها في قوله: «التعقيدُ، والإغلاقُ، والتقعيرُ سواء، وهو استعمالُ الوحشيِّ»[2].

وقال عمر بن الخطاب **س** في وصف زهير بن أبي سلمى: «كان لايعاظل بين القول، ولايتبع حُوشيَّ الكلام»[3].

وقال الجاحظ: «مارأيتُ قوماً أنفذ طريقةً في الأدب من هؤلاء الكتَّاب، فإنهم التمسوا من الألفاظ مالم يكن متوعِّراً وحشيًّا، ولاساقطاً سوقيًّا»[4].

وقال صاحب الرسالة العذراء: «فلا تُخرجنَّ كلمة حتى تَزِنها بميزانها، فتعرِفَ تمامها ونِظامَها، ومواردها ومصادرها، وتجنَّبْ ما قَدِرْتَ الألفاظَ الوحشية، وارتفع عن الألفاظ السَّخيفة، واقتضِبْ كلاماً بين الكلامين»[5].

وكتب إبراهيم ابن المهدي إلى كاتب له رآه يتبع وَحْشِيَّ الكلام: «إيَّاك وتتبُّعَ الوحشيِّ طمعاً في نَيْلِ البلاغة؛ فإن ذلك العِيُّ الأكبرُ، وعليك بما سَهُلَ مَعَ تجنُّبِكَ ألفاظَ السِّفْلِ»[6].

وقال الرشيد وقد سمع أَوْلادَهُ يتعاطَوْنَ الغريب في محاوراتهم: «لاتَحْمِلُوا ألسنتكم على وحشيِّ الكلام، ولاتُعَوِّدوها المُسْتَشْنعَ ولاالمتصنَّعَ، فإن العادة ألزمُ من الطَّبعِ،

(١) لسان العرب: ٢/ ١٠٤٩ – ١٠٥٠، مادة: حوش.

(٢) كتاب الصناعتين: ٥٢

(٣) الشعر والشعراء: ١/ ١٣٧ – ١٣٨

(٤) العقد الفريد: ٤/ ١٧٩

(٥) الرسالة العذراء: ٦٤

(٦) زهر الآداب: ١/ ١١٧

واعتمدوا سهولة الكلام من غير استكراه ولامؤنةِ تكلُّفٍ، سيدُ الكلام ماارتفعَ عن طبقَةِ العامَّةِ، وانخفض عن درجةِ المتشدقين، وخالفَ سُبُلَ المُغْرَقِينَ؛ فليكنْ كلامكم قصداً، وألفاظكم عدداً، فإن الإكثار يمحقُ البيانَ، ومن قِبَلِهِ تحدثُ الآفةُ على اللِّسانِ»[1].

وقال ابن رشيق: الوحشيُّ من الكلام: مانفر عنه السمع، ويقال للوحشي (أيضاً): حُوشِيٌّ، وإذا كانت اللفظة خشنةً مستغربةً لايعلمها إلا العالمُ المبرِّزُ، والأعرابيُّ القُحُّ، فتلك وحشيَّةٌ، وكذلك إن وقعتْ غير موقعها، وأُتِيَ بها مع ماينافرها، ولايلائم شكلها[2].

وقال (أيضاً): «وليس التوليد والرِّقَّةُ أن يكون الكلام ركيكاً سَفْسَافاً، ولابارداً غثًّا، كما ليست الجزالةُ والفصاحةُ أن يكون حُوشيًّا خشناً، ولاغريباً جافياً، ولكن حالاً بين حالين»[3].

وقال ابن سنان في ذم الألفاظ الحوشية: «وقد رأيت أنا جماعةً يَتعمَّدون هذا، فقلت لهم: إن سُرِرْتُمْ بمعرفتكم وَحْشِيَّ اللفظ، فيجب أن تَغْتَمُّوا بسوء حَظِّكُمْ من البلاغة»[4].

وقال القاضي الجرجانيُّ في مذهبه في اختيار الشعر: «ومتى سمعتَني أختارُ للمحدث هذا الاختيار، وأبعثُهُ على الطبع، وأُحْسِنَ له التَّسهيل، فلا تَظُنَّنَّ أَنِّي أُريد بالسَّمْحِ السَّهْلَ الضعيفَ الركيكَ، ولا باللطيفِ الرَّشِيقَ الخَنِثَ المؤنَّثَ، بل أُريد «النَّمَطَ الأوسط»، ماارتفع عن الساقط السُّوقيِّ، وانحط عن البدوي الوحشيِّ»[5].

(١) التذكرة الحمدونية: ٣/ ٣٤٨

(٢) العمدة: ٢/ ١٠٤٢- ١٠٤٣ بتصرف

(٣) المصدر السابق: ١/ ١٤١- ١٤٢

(٤) سر الفصاحة: ٧٥

(٥) الوساطة: ٢٣- ٢٤

فالجرجاني يختار اللفظ السهل، ويحث الأدباء على اختياره، وهو لايعني به الضعيف الركيك، وإنما يعني به «النمط الأوسط»، والطريق إلى بلوغ ذلك الطبع المهذب، الذي «قد صقله الأدب، وشحذَتْهُ الروايةُ، وجلتْهُ الفِطنَةُ، وأُلْهِمَ الفصل بين الرديء والجيد»[1].

كما عَدَّ الباقلانيُّ «النمط الأوسط» من وجوه الإعجاز، في قوله عن القرآن الكريم إنه: خارجٌ عن الوحشيِّ المُستكرَهِ، والغريبِ المستنكَرِ، والصنعَةِ المتكلَّفَةِ، يبادر معناهُ لفظَهُ إلى القلبِ، ويسابق المغزى منه عبارتَهُ إلى النفس، قريب إلى الأفهام، وهو مع ذلك ممتنع المَطْلَبِ، عسير المتناوَل، غير مُطْمِعٍ مع قربه في نفسه، ولامُوهِمٍ مع دنوه في موقعه أن يُقْدَرَ عليه، أو يظفر به، فأما الانحطاط عن هذه الرتبة إلى رتبة الكلام المبتذل، والقول المسفسف، فليس يَصِحُّ أن تقع فيه فصاحة أو بلاغة، فيطلب فيه الممتنع، أو يوضع فيه الإعجاز، ولكنه أوضح مناره، وقَرَّبَ منهاجَهُ، وَسَهَّلَ سبيلَهُ، وجعله في ذلك متشابهاً متماثلاً، وَبَيَّنَ مع ذلك إعجازهم فيه، وقد علمت أن كلام فصحائهم، وشعر بلغائهم لاينفكُّ من تصرف في غريب مستنكر، أو وحشيٍّ مستكره، ومعان مستبعَدَةٍ، ثم عدولهم إلى كلام مبتذَل وضيع لايوجد دونه في الرتبة، ثم تحوّلهم إلى كلام معتدل بين الأمرين، متصرف بين المنزلتين[2].

وقد ذكر الجاحظ أَنَّ الوحشيَّ لا يصحُّ إلا للبدويِّ، قال: «كما لاينبغي أن يكون اللفظ عاميًّا، ولاساقطاً سوقيًّا، فكذلك لاينبغي أن يكون وحشيًّا، إلا أن يكون المتكلم به بدويًّا أعرابيًّا، فإنَّ الوحشيَّ من الكلام يفهمه الوحشيُّ من الناس، كما يفهم السوقيُّ رطانة السوقيُّ»[3].

(١) المصدر السابق: ٢٥

(٢) إعجاز القرآن: ٤٦، بتصرف واختصار

(٣) البيان والتبيين: ١/ ١٤٤، والعمدة: ١/ ٢١٤ بتصرف

ولما كان اللفظ الوحشيُّ الغريبُ مفهوماً عند بعض الناس علمنا أن هذه القضية نسبية، فقد يكون اللفظ مألوفاً متداول الاستعمال عند كل قوم في كل زمن، وقد يكون غريباً متوحِّشاً في زمن دون زمن، وقد يكون متوحِّشاً عند قوم مستعملاً مألوفاً عند آخرين، وقد صنف القلقشندي الألفاظ من حيث استعمالها أربعة أصناف:

الأول: الألفاظ المألوفة المتداولة الاستعمال عند كل قوم في كل زمن، كالسماء والأرض، والليل والنهار، والحر والبرد...وما أشبه ذلك.

الثاني: الألفاظ الغريبة المتوحشة عند كل قوم في كل زمن، وتُسمى الوحشيَّةَ، والغليظةَ، والعَكِرةَ، والمتوعِّرةَ.

الثالث: الألفاظ المتوحشة في زمن دون زمن، وهي ما كانت متداولة الاستعمال في زمن العرب، ثم رفضت وتركت بعد ذلك.

الرابع: الألفاظ الغريبة المتوحِّشةُ عند قوم دون قوم، وذلك ككلام أهل البادية من العرب بالنسبة إلى أهل الحضر منهم، فإنَّ أهل الحضر يألفون السهل من الكلام ويستعملون الألفاظ الرقيقة، ولا يستعملون الغريب إلا في النادر، وأهل البادية يألفون اللفظ الجزل، ويميلون إلى استعمال الغريب(١).

وقد عرف العسكري الجزل المختار من الكلام بأنه «الذي تعرفُهُ العامَّةُ إذا سمعتهُ ولاتستعملُهُ في محاوراتها...وأجودُ الكلام مايكون جزلاً سهلاً، لاينغلقُ معناه، ولايستبهمُ مغزاهُ»(٢).

واستشهد على ذلك بكثير من الأمثلة التي وإن لم تكن من كلام العامة إلا أنهم يعرفون الغرض منها، ويقفون على أكثر معانيها، منها قول المرار:

(١)ينظر في ذلك: صبح الأعشى: ١/ ٢١٥، ومعجم مصطلحات النقد العربي القديم: ٤٤١ بتصرف

(٢) كتاب الصناعتين: ٧٠- ٧٣

لا تَسْأَلي القَوْمَ عن مالي وكثْرَتِهِ قَدْ يُقْتِرُ المرءُ يوماً وهو محمودُ
أَمْضي على سُنَّةٍ من والدي سَلَفَتْ وفي أَرُومَتِهِ ما يُنْبِتُ العُودُ [1]

وإذا كان هذا شأن الألفاظ فإن شأن الأساليب أشد، لأن الأساليب كما نعلم هي طرائق المبدع في التعبير عن نفسه وأفكاره من خلال نظم الكلام وصياغته في صورة معينة، وهي تختلف باختلاف القدرات والأغراض، ولاشك أن لكل إنسان طريقته في التعبير التي تميزه عن غيره، وجمال الأسلوب والتعبير مناط الجودة والتفاضل بين المبدعين، لأن جمال أجزاء الأسلوب لاقيمة له إذا لم تتلاحم هذه الأجزاء، ويظهر كل منها في موضعه المناسب للمقام والأحوال.

ويعد ابن قتيبة من أوائل النقاد العرب الذين عرضوا مفهوم الأسلوب وأنه يمثل طريقة التعبير، وذلك في قوله: الشاعر المجيد هو الذي يسلك أساليب العرب وطريقتهم في النظم[2].

وعلى الرغم من اشتراك العرب في اللغة واللسان، والمنطق والعبارة، إلا أنهم يختلفون في طرائق الإبداع الشعري، وذلك باختلاف الطبائع والقدرات، يقول القاضي الجرجاني: «تَفْضُلُ القبيلةُ أُختها بشيءٍ من الفصاحة، ثم تجد الرجل منها شاعراً مُفْلَقاً، وابنَ عَمِّهِ وجارَ جَنابِهِ ولصيقَ طُنُبِهِ بكيئاً مُفْحَماً[3]، وتجد فيها الشاعرَ أشعرَ من الشاعر، والخطيبَ أبلغَ من الخطيب، فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وحِدَّةِ القريحةِ والفِطْنةِ!»[4].

(١) المصدر السابق: ٧٢

(٢) الشعر والشعراء: ١/ ٧٥

(٣) البكيء: من قل كلامه خلقة، والمفحم: من لايقدر أن يقول شعراً.

(٤) الوساطة: ٢٣- ٢٥ بتصرف

ويقول العسكري: «والناسُ في صناعة الكلام على طبقات، منهم من إذا حاور وناظر أبلغ وأجاد، وإذا كتب أو أملى أَخَلَّ وتخلَّفَ، ومنهم من إذا أملى بَرَّزَ، وإذا حاور أو كتب قصَّرَ، ومنهم من إذا كتبَ أحسنَ، وإذا حاور وأملى أساء، ومنهم من يُحْسِنُ في جميع الحالات، ومنهم من يُسيءُ فيها كلِّها، فأحسنُ حالاتِ المسيءِ الإمساكُ، وأحسنُ حالات المحسنِ التوسُّطُ، فإن الإكثار يُورثُ الإملالَ، وقلَّما ينجو صاحبُهُ من الزَّلَلِ والعيبِ والخَطَلِ»[1].

ومثلما يتفاوت المبدعون في الإبداع يتفاوت النقاد أيضاً في النقد، يقول الجاحظ: «طلبتُ علمَ الشعر عند الأصمعي فوجدتُهُ لايحسن إلا غريبه، فرجعتُ إلى الأخفش فألفيتُهُ لايُتْقِنُ إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فرأيتُهُ لاينقد إلا مااتصل بالأخبار، وتعلق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب، ومحمد بن عبد الملك الزيات، فلله در أبي عثمان لقد غاص على سرِّ الشعر، فاستخرج ماهو أدق من الشعر»[2].

وسئل البحتري عن مسلم وأبي نواس أيهما أشعر؟ فقال: مسلم؛ لأنه يتصرف في كل طريق، ويتنوع في كل مذهب، إن شاء جَدَّ، وإن شاء هَزَلَ، ومسلم يلزم طريقاً لايتعداه، ويتحقق بمذهب لايتخطاه، فقيل له: إن ثعلباً لايوافقك على هذا الرأي، فقال: ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولايقوله، وإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه[3].

(١) كتاب الصناعتين: ٢٦- ٢٧

(٢) الكشف عن مساوئ المتنبي: ٢٢٣- ٢٢٤، والعمدة: ٢/ ٧٥٥، والبيان والتبيين: ١/ ١٣٧، ٤/ ٢٣- ٢٤

(٣) العمدة: ٢/ ٧٥٣، ودلائل الإعجاز: ٢٥٢، ٢٧١، وكتاب الصناعتين: ٢٤، والكشف عن مساوئ شعر المتنبي: ٢٢٤، وإعجاز القرآن: ١٠١

وكلما كان ارتباط الألفاظ بعضها ببعض قويًّا كان الأسلوب قويًّا كذلك، يقول الجاحظ: «أجود الشعر مارأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أُفرغ إفراغاً واحداً، وسُبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان»(١).

فالألفاظ لبنات يتكون منها بناء الأسلوب، وقد وقف النقاد طويلاً يتبينون الأسباب التي تهب الكلمة الجمال، فإذا ماوفق الشاعر في اختيار الألفاظ المناسبة المعبرة عن عواطفه وانفعالاته وأفكاره، وصاغها في أسلوب جيد محكم، كان نصيب الأسلوب من الفضل على قدر توفيق صاحبه، إن: «الشعر كله من هذه الألفاظ، ولكنَّ الشأْن في عقل يُحْسِنُ أن يَعْرفها ويُؤَلِّفها؛ إذا مدحتَ قلتَ أَنْتَ، وإذا هجوتَ قلتَ: لَسْتَ، وإذا رَثَيْتَ قُلْتَ كُنْتَ»(٢)، ومن هنا كان التفاوت بين الأساليب، كما كان التعدد في أنواعها، وهذا ما ظهر بجلاء في أسماء تلك الأساليب.

بل إن الأسلوب في العصر الحديث أصبح ينظر إليه من جانب: مبدعه، ونصه، ومتلقيه، وتختلف دراسته تبعاً لذلك؛ فدراسة الأسلوب من جانب المبدع يقصد بها: دراسته كمرآة عاكسة لشخصية المبدع، فالأسلوب هو الرجل كما يقال، أما دراسته من جانب نصه فيقصد به: اللغة التي كتب بها، وهل هي لغة خطاب أدبي أم خطاب عاديٍّ؟! أما دراسة الأسلوب من جانب المتلقي فبالنظر إلي جودته ورداءته، أو قبوله ورفضه، من وجهة نظر المتلقي اعتماداً على مقاييسه النقدية التي ارتضاها.

وفي نقدنا القديم قسم الرُّماني الأساليب إلى عدة أنواع، هي: المتنافر، والمتلائم في الطبقة الوسطى، والمتلائم في الطبقة العليا، وَمَثَّلَ للمُتلائم في الطبقة الوسطى بقول الشاعر:

(١) البيان والتبيين: ١/ ٦٧

(٢) الورقة: ٩

رَمَتْنِي وسِتْــرُ اللهِ بيني وَبَيْنَها عَشِيَّةَ آرَامِ الكِنَاسِ رَمِيمُ
رميمُ التي قالت لجيرانِ بَيْتِها ضَمِنْتُ لكُمْ ألاَّ يزالَ يَهِيمُ
ألا رُبَّ يومٍ لو رمتْنِي رَمَيْتُها ولكنَّ عَهْدِي بالنِّضَالِ قديمُ

ومثَّلَ للمتلائم في الطبقة العليا بالقرآن الكريم كله، وقال: وذلك بيِّنٌ لمن تأمله، والفرق بين القرآن الكريم وبين غيره من الكلام كالفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى[1].

وانتقد ابن سنان الخفاجي تقسيم الرماني، فقال: «وهذا الذي ذكره غير صحيح، والقسمة فاسدة؛ وذلك أن التأليف على ضربين: متنافر، ومتلائم، وقد يقع في المتلائم مابعضه أشد تلاؤماً من بعض، على حسب مايقع التأليف عليه، ولانحتاج أن نجعل ذلك قسماً ثالثاً، كما يكون في المتنافر مابعضه في التنافر أكثر من بعض، ولم يجعل الرُّمانيُّ ذلك قسماً رابعاً»[2].

ولعل هذه الأساليب الأربعة التي ذكرها ابن سنان هي التي فَصَّلَ القول فيها نقادنا العرب فيما بعد بأسماء أخرى، وهي ليست على سبيل الحصر، وإنما تدل على بروز طرفين للأساليب، هما: الأسلوب السوقي، والأسلوب الحوشي، وبين هذين الطرفين عدة أساليب أخرى تقع جميعها في المنزلة الوسط بين هذين الطرفين، من ذلك الأسلوب السهل، وهو أقرب إلى السوقية، والأسلوب الجزل، وهو أقرب إلى الحوشية، وكلاهما يقع في هذه المنزلة الوسط التي بالغ النقاد في مديحها والثناء عليها.

(١) النكت في إعجاز القرآن: ٩٤- ٩٥، وإعجاز القرآن: ٢٦٩ بتصرف

(٢) سر الفصاحة: ١٣٤- ١٣٥

١. الأسلوب السوقي:

وهو الذي يستخدم ألفاظ السوقة، وهو من جملة الرديء المردود، وهو يختلف باختلاف العصور، لاختلاف أهل كل عصر من العامة في مدى ثقافتهم، فقد يرتفع مستوى العامة في عصر عن آخر، فيكون ماهو سوقي في زمن شعراً سهلاً مقبولاً في زمن آخر [١].

ومن الشعر الذي عده بعض النقاد سوقيًّا قول أبي العتاهية:

نَغَّصَ الموتُ كلَّ لذَّةِ عَيْشٍ ... يالَقومي للموتِ ماأَوْحاهُ
عجباً أنَّه إذا مات مَيْتٌ ... صَدَّ عنه حبيبُهُ وجَفاهُ
حيثُما وُجِّه امرؤٌ ليفوتَ الـ ... ـموتَ فالموتُ واقفٌ بِحِذَاهُ
إنَّما الشَّيْبُ لابن آدمَ ناعٍ ... قام في عارِضَيْه، ثم نَعاهُ
مَنْ تَمَنَّى المُنى فأَغْرق فيها ... مات من قبل أن ينالَ مُناهُ
ما أَذَلَّ المُقِلَّ في أَعْيُنِ النا ... س لإقلاله وماأقْمَاهُ
إنما تنظر العيونُ من النا ... س إلى من تَرْجوه أو تخْشاهُ

وقد أسمع أبو العتاهية سلماً الخاسر هذه الأبيات، وقال له: كيف رأيتها؟ فقال سلم: لقد جوَّدْتَها، لو لم تكن ألفاظُها سُوقيَّةً، فقال له أبو العتاهية: والله مايُرَغِّبني فيها إلَّا الذي زهَّدك فيها[٢].

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب: ٤٩٩ بتصرف

(٢) الأغاني: ٤/ ٩٤- ٩٥

٢. الأسلوب السهل:

وهو الذي يخلو أو يكاد من ألفاظ الطبقة المثقفة، بشرط أن يرتفع عن ألفاظ السوقة، وقَدَّرَ النُّقادُ منزلةَ الشَّعْرِ السَّهْلِ بأنه ما لم ينزل إلى درجة الضعف والرَّكاكة، وجعلوا منه نوعاً دعوه السهل الممتنع[١].

قال العسكري: أجود الكلام السَّهْلُ الممتنعُ، ثم ذكر ماأنشده إبراهيم بن العباس لخاله العباس بن الأحنف:

إليكَ أَشْكُو ربِّ ماحلَّ بي ... مِنْ صَدِّ هذا التَّائِهِ المُعْجِبِ
إِنْ قالَ لم يَفْعَلْ وإن سيلَ لَمْ ... يَبْذُلْ وإن عُوتِبَ لم يُعْتِبِ
صَبٌّ بِعِصياني ولو قالَ لي ... لا تَشْرَبِ الباردَ لَمْ أَشْرَبِ

وقال: هذا والله الشعر الحسنُ المعنى، السهلُ اللفظ، العذبُ المستمع، القليلُ النظير، العزيزُ الشبيه، المطمعُ الممتنِعُ، البعيدُ مع قربه، الصعب مع سهولته، فجعلنا نقول: هذا الكلام والله أبلغُ من شعره[٢].

٣. الأسلوب الجزل:

وهو الذي سبقت الإشارة إليه من أنه ليس سوقيًّا مبتذلاً ولاحوشيًّا خشنًا، وألفاظه مختارة من بين ألفاظ الطبقة المثقفة، ولكن العامة تعرف هذه الألفاظ على الرغم من عدم استعمالها في محاوراتها، وهو درجات يعلو بعضها بعضاً، من هذا الأسلوب قول أبي نواس:

قُلْ لِذي الوَجْهِ الطَّريرِ ... وَلذي الرِّدْفِ الوَثِيرِ

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب: ٤٩٨ – ٤٩٩ بتصرف

(٢) كتاب الصناعتين: ٦٧

وَلِمِغْلاقِ هُمُومِي ولمفتاحِ سُرُوري
ياقليلاً في التَّلاقي وكثيراً في الضَّميرِ

وقوله أيضاً:

مَاهوَى إلَّا له سبَبُ يبتَدِي منه ويَنْشَعِبُ
فَتَنَتْ قلبي محجَّبَةٌ برداءِ الحُسْنِ تنتقِبُ
خُلِّيَتْ والحُسْنُ تأخُذُهُ تَنْتَقي مِنْهُ، وتَنْتَخِبُ
فانتقَتْ منه طرائفَهُ واستذادتْ فضل ماتَهَبُ
صارَ جِدًّا مامزحتُ بِهِ رُبَّ جِدٍّ جَرَّهُ اللَّعِبُ

قال العسكري: «فهذا أجزلُ من الأوَّلِ قليلاً»(١).

وأبلغ من هذه المنزلة أن يكونَ في قوة صانع الكلام أن يأتي مرةً بالجزل، وأخرى بالسهل؛ فَيلينُ إذا شاء، ويشتدُّ إذا أراد، ومن هذا الوجه فضَّلوا جريراً على الفرزدق، وقالوا: كان له في الشعر ضروب لايعرفُها الفرزدق، وماتت امرأته النَّوار فناح عليها بشعر جرير:

لولا الحياءُ لهاجَنِي اسْتِعْبَارُ ولزُرتُ قَبْرَكِ والحبيبُ يزارُ

وقال جرير:

طَرقَتْكَ صائدةُ القلوبِ وليسَ ذَا وَقْتُ الزِّيارةِ فارجِعي بسلامِ
تُجْرِي السِّوَاكَ على أَغَرَّ كأنَّهُ بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتونِ غَمامِ

(١) كتاب الصناعتين: ٣١

فانظر إلى رِقَّةِ هذا الكلام.

وقال أيضاً:

وابنُ اللَّبُونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القَنَاعِيسِ

فانظر إلى صلابة هذا الكلام [١].

٤. الأسلوب الحوشي:

وهو الذي يمتلئ بالألفاظ الغريبة الحوشية، فيختفي المعنى تحت ستار كثيف من الغموض، ولا يتضح إلا بعد جهد ومشقة، من ذلك قول أبي تمام:

والمجدُ لا يَرْضَى بأَنْ ترضى بأَنْ يَرْضَى المُعَاشِرُ مِنْكَ إلَّا بالرِّضَا

وقد علق الحسن بن وهب على هذا البيت عندما سمعه: «ياهذا، لقد شدَّدت على نفسك، والكلامُ إذا كان بهذه المثابة كان مذموماً»[٢].

وقول ابن الرومي في صفة المطر:

مُتَغَطْمِطٌ، غضب الوحوش مكانها، تياره فالضب جارُ الضِّفْدَعِ

يقول ابن الأثير: فهل تجد أشد كراهة عليك من النطق بلفظة متغطمط؟ [٣].

(١) المصدر السابق: ٣٠ بتصرف

(٢) كتاب الصناعتين: ٥٢

(٣) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ٤٨

ومثال الوحشي (أيضاً) قول بعض الأمراء وقد اعتلت أمه؛ فكتب رقاعاً وطرحها في المسجد الجامع بمدينة السلام، طالباً فيها الدعاء لأمه، قال في الرقاع: «صِينَ امرؤٌ وَرُعِي، دَعَا لامرأَةٍ إِنْقَحْلَةٍ مُقْسَئِنَّةٍ (كبيرة السن)، قد مُنِيَتْ بأَكْلِ الطُّرْمُوقِ (الطين أو الخفاش)، فأصابها من أجله الاسْتِمْصالُ (الإسهال)، أَنْ يَمُنَّ اللهُ عليها بالاطْرِغْشَاش والإبْرِغْشَاش (بالبُرْءِ والشِّفاءِ) ؛ فكان كلُّ من قَرَأَ رُقْعَتَه دعا عليها؛ ولعنه ولَعَنَ أُمَّهُ»[1].

هذا النهج من العبير «يجب على المؤلف اجتنابه والبعد عنه؛ لأن أحسن الألفاظ ماكان مألوفاً بين أرباب هذه الصناعة، دائراً في تأليفاتهم، قد صقلته الألسن، وأَنِسَتْهُ الأسماع والقلوب، ولذلك كان جميع ألفاظ القرآن الكريم منخرطة في هذا السلك، وجارية في هذا المنهاج»[2].

وعامة النقاد العرب على استهجان هذا الأسلوب الحوشيَّ، إلاَّ في حالة واحدة سبقت الإشارة إليها، هي: «أن يكون المتكلم به بدويًّا أعرابيًّا، فإنَّ الوحشيَّ من الكلام يفهمه الوحشيُّ من الناس، كما يفهم السوقيُّ رطانة السوقيِّ»[3].

ومن هنا ذهب بعض النقاد إلى أن العرب غير ملومين في استعمال الوحشي- من الكلام؛ لأنه يمثل لغتهم في أحاديثهم وأشعارهم، وكان لهم طبعاً وخليقة، والدليل على أن العرب لايلامون في استعمال الوحشي من الكلام، أن النبي ﷺ قد نطق به كثيراً في كلامه، وأتت به الأخبار المنقولة عنه، كحديث طَهْفَةَ بن أبي زهير النَّهْدِيِّ، حين وفد على النبي ﷺ وقام طهفة يخطب بكلام حوشي، ورد عليه ﷺ وأرسل معه كتاباً إلى بني نهد باللغة ذاتها، فقال عليٌّ بن أبي طالب **س**: «يارسول الله نحن بنو أب واحد ورُبِّينا في

(١) كتاب الصناعتين: ٥٢، والجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ٤٧

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ٤١- ٤٢

(٣) البيان والتبيين: ١/ ١٤٤، والعمدة: ١/ ٢١٤، وأسس النقد الأدبي عند العرب: ٥٠٠ بتصرف

بلد واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لم نفهم أكثره، فقال رسول الله ﷺ: «أَدَّبَنِي ربِّي فأحسنَ تَأْدِيبي، ورُبِّيْتُ في بني سعد»[1].

وبهذا نعلم أن الذي يلام على استعمال الحوشي من الكلام إنما هو الحضري؛ لأنه يتكلفه ويتلقفه من الكتب، مع العناء والمشقة في تحصيله، وقد أُغرم بعض النقاد بالأسلوب الحوشي، وجعله الغاية التي تسعى إليها البلاغة، وقد رد عليهم أبو هلال العسكري في قوله: «وقد غلبَ الجهلُ على قَوْمٍ فصاروا يستجيدون الكلامَ إذا لم يَقِفوا على معناه إلا بكدٍّ، ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه كَزَّةً غليظةً، وجاسيةً غريبةً، ويستحقِرُونَ الكلامَ إذا رأوه سلساً عذباً وسهلاً حلواً، ولم يعلموا أن السهل أمنعُ جانباً، وأعزُّ مطلباً، وهو أحسن موقعاً وأعذب مستمعاً»[2].

ولكن هؤلاء قلة بين النقاد، وينبغي أن نعلم أن ماقد يُعَدُّ جزلاً في عصر ربما يُعَدَّ حوشيًّا في عصر آخر، فالجزل في العصر الجاهلي قد نراه اليوم حوشيًّا؛ لتطاول الزمن، وينبغي أن يكون الحكم على النص في عصره، حتى لايُظلم إذا وضع في عصر غير عصره[3].

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ٤٢- ٤٦

(٢) كتاب الصناعتين: ٦٦

(٣) أسس النقد الأدبي عند العرب: ٥٠٠- ٥٠١ بتصرف

الفصل الثالث
الوسطية في المعاني والأغراض

تمثل دراسة المعاني والأغراض أبرز معالجات قضايا المضمون في العمل الأدبي، وقد شهدت هذه الدراسة تنوعاً كبيراً لدى النقاد العرب، فمن أبرز مظاهر عنايتهم بالمعاني ماذهبوا إليه من وجوب صحتها وابتكارها وطرافتها ووفائها بالمراد، وخلوها من جميع العيوب التي تخل بها كالخطأ والتناقض والتعقيد والإحالة...إلى غير ذلك.

وعندما يطلق النقاد كلمة المعنى فإنما يريدون بها في الغالب المعنى الجزئي، فإذا ماأطلقوا الغرض فإنما يقصدون به المضمون أو المقصد، وهو كل مايحتويه التعبير من أفكار ومشاعر، و يرادف الفكرة العامة المجردة التي يتفنن المنشئ في صياغتها، ويتفنن الناقد في استخلاصها من مجموع ماقاله، فالمعنى بذلك يتضمن مفهومين، هما:

١. المعنى الجزئي: الذي يتضمنه البيت أو الجزء من البيت من القصيدة.

٢. المعنى الكلي: وهو الغرض أو الموضوع الذي عُقدت عليه القصيدة.

فالمعاني الجزئية بعض من المعنى الكلي، وهي تظهر في البيت أو جزء البيت، بينما تدل المعاني الكلية على أغراض القصائد، يقول زكي مبارك: «ففي كل بيت معنى خاص، ومن مجموع هذه المعاني يتكون الغرض»[١].

والغرض في اللغة يعني: الهدف والقصد، وفي الاصطلاح يراد به فنون الشعر المعروفة قديماً، وهي: المدح، والهجاء، والرثاء، والفخر، والنسيب، والوصف[١].

(١) الموازنة بين الشعراء: ٩٥- ٩٦

ولايجوز أبداً الفصل بين الألفاظ والمعاني إلاَّ على مائدة الدرس النقدي بغية إدراك مقاييس الجودة والرداءة لكل منهما، بينهما في آفاق الإبداع هما كالشيء الواحد، يقول ابن رشيق: «اللفظ جسم روحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه، ويقوى بقوَّته»(٢).

ولايخفى أن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدَّةٌ إلى غير نهاية، وهي مشتركة بين العقلاء، وقد يقع المعنى الجيد للسُّوقي والنبطيِّ والزنجيِّ، بينما الألفاظ محصورة معدودة، ومحصلة محدودة، وهي مناط التفاضل بين القدماء في رصفها وتأليفها ونظمها، وإذا كان العلماء يستشهدون بألفاظ القدماء، فإنهم يستشهدون (أيضاً) بمعاني المولَّدين، لأن المعاني إنما اتسعت باتساع الناس في الدنيا، وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض(٣).

ولما كانت المعاني والأغراض متجددة بتجدد الأيام، فإننا نجد مقاييس المعاني متجددة هي الأخرى بحسب المقامات والأحوال، بل إن العربي القديم وإن كان حجة في صياغة الألفاظ فإنه في شأن المعاني لايختلف كثيراً عن غيره من الناس، يصيب في بعض الأحيان ويخطئ في بعضها الآخر، وذلك إذا خالفت معانيه واقع الحياة أو التاريخ أو طرائق البيان وأساليب التعبير.

وقد ذكر العلماء أن «من أسباب الوهم في المعاني جهل الشاعر بما يذكره لبعده عنه، فتراه يأتي به على غير حقيقته، ويضعه في غير موضعه، أو يبهم في وصفه فلايدنيه منك ولايبعده، كالحَضَريّ الذي لم يسبق له التبدّي، والبدويّ الذي لم يتحضّر، فإنهما قلَّما يستطيع أحدهما أن يذكر ماعند الآخر فيصيب فيه، أو يصفه فيحسن الإفصاح عنه؛ لأنه إنَّما يذكر مالم يعرفه، ولم يره إلَّا بسمعه...وكما إنهم يخطئون فيما لم يَرَوْه ويعهدوه،

(١) المصطلح النقدي في نقد الشعر: ٣٤٩- ٣٥٢ بتصرف

(٢) العمدة:١/ ٢٠٠

(٣)انظر في ذلك: كتاب الصناعتين: ٢٠٢، وزهر الآداب: ١/ ١٠٨، والعمدة: ٢/ ٩٨٥

نراهم يخطئون (أيضًا) فيما نشأوا عليه، وألفوا رؤيته صباح مساء، ومأتى هؤلاء من تعرُّضهم لما عرفوا جملته، ولم يحيطوا بتفصيله؛ لأنَّ المعرفة تتفاوت كثرةً وقلة بحسب ملابسة الأشياء ومجانبتها، فمن كان أشد علاقةً بالشيء كان بالضرورة أخبر به وأبصر- ممن ضعفت علاقته به، أو قصرت معرفته له على مجرد الإلف والمشاهدة»[1].

وقد عاب أبو نواس تكلف التعبير، في قوله:

تصفُ الطُّلولَ على السَّماعِ بها أَفَذُو العِيَانِ كأَنْتَ في الفَهْمِ؟

وإذا وصفتَ الشيءَ متَّبِعاً لم تَخْلُ من زَلَلٍ ومن وهْمِ [2]

ولابد أن يتسم الأسلوب ببعض الغموض؛ لأنه يعد من أبرز ألوان التعبير خصوبة، لما يفتحه من آفاقٍ رحبةٍ للتأويلِ والتفاعلِ، وبهذا يتحول المتلقي إلى عنصر- فاعل في إبداع النص، ويُقصد بالغموض : «عدم وضوح الدلالة بسبب احتمال إشارة اللفظ إلى أكثر من معني، مع عدم تحديد مايشير إليه منها، أي أن يكون اللفظ محتملاً لوجوه عديدة...ويلجأ كثير من شعراء الحداثة وبخاصة كُتَّابَ قصيدة النثر إلى الغموض في تعبيراتهم، ويعتبرونه أهم مميزات شعرهم المنثور» [3].

وقد بالغ بعض الشعراء فجعلوا الغموض مذهباً من مذاهب الإبداع، اشتهروا به وأصبح علامة بارزة عليهم، ويعد أبوتمام ومن نحا نحوه خير مثال على ذلك، وقد سأله رجل عن سبب هذا النهج بقوله: لم لا تقول من الشعر مايفهم؟ فقال له: ولم لاتفهم من الشعر مايقال؟[4].

(١) أوهام الشعراء العرب في المعاني: ٥- ١٤

(٢) زهر الآداب: ١/ ٤٥٩، وأخبار أبي تمام: ١٦- ١٧

(٣) معجم مصطلحات الأدب: ١١٥ بتصرف

(٤) العمدة: ١/ ٢١٤

وهناك بعض الشعراء يؤثرون الشعر الرائق السهل، فلكل شاعر طريقته في التعبير ومذهبه في الإبداع؛ ولن نجد شاعرين يلتقيان على نهج واحد في الشعور بالمعنى وطريقة تصويره، بل لن نجد شاعراً واحداً يجوِّدُ في كل المعاني والأغراض، فمن الشعراء «من يُجَوِّدُ في المدح دون الهَجْوِ، ومنهم من يُجَوِّدُ في الهجو وحده؛ ومنهم من يُجَوِّدُ في المَزْح والسُّخْفِ، ومنهم من يُجَوِّدُ في الأوصاف، والعالم لايَشِذُّ عنه شيءٌ من ذلك، ولاتخفى عليه مراتب هؤلاء، ولاتذهب عليه أقدارهم؛ حتى إنه إذا عرف طريقة شاعر في قصائد معدودة، فَأُنْشِدَ غيرَها من شعره لم يشك أن ذلك من نَسْجِهِ، ولم يَرْتَبْ في أنها من نظمه...ثم تراهم يُنزلون الكلام تنزيلاً، ويُعْطُونَهُ (كيف تصرف) حُقُوقَهُ، ويعرفون مراتبه؛ فلا يخفى عليهم مايختصُّ به كل فاضل تقدَّم في وجه من وجوه النظم، من الوجه الذي لايُشاركه فيه غيره، ولايُساهمه سواه»[1].

وإذا كانت الألفاظ والأساليب قد انحصرت في ثلاثة منازل شمل المذهب الوسط منها فضاء واسعاً بين السوقية والحوشية، فإن المعاني والأغراض انحصرت في ثلاثة منازل أخرى شمل المذهب الوسط بينها فضاء واسعاً (أيضاً) بين التفريط والإفراط، وعلى الرغم من تعدد أسماء المذهب الوسط في قضايا الشكل، إلا أن مفهومها ينحصر فيما بين السوقية والحوشية في الألفاظ والأساليب، وعلى الرغم من تعدد أسماء المذهب الوسط في قضايا المضمون، إلا أن مفهومها ينحصر فيما بين التفريط والإفراط في المعاني والأغراض.

وقد أشار حازم القرطاجني إلى قدرات ومنازل الشعراء في التعبير، فقال: «منهم من يقوى على حشر مايمكن أن يوصف به الشيء الحسن من صفة يرى أَنَّها قبيحة حقيقة أو تمويهاً، ومايمكن أن يوصف بها القبيح من صفة يرى أنها حسنة حقيقة أو تمويهاً، ومنهم من لايتهدَّى إلاَّ إلى الشيء القليل من ذلك، ومنهم من يتوسط بين الطرفين»[2].

(١) إعجاز القرآن: ٢٠، ١٢٣

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢١٨

ومن مقاييس الأغراض الشعرية التي وضعها النقاد قول القاضي الجرجاني: «فلا يكون غَزَلُكَ كافتخارك، ولامديحُك كوعيدك، ولاهجاؤك كاستبطائك؛ ولاهَزْلُكَ بمنزلة جِدِّكَ، ولاتعريضُكَ مِثْلُ تصريحكَ؛ بل رتِّب كلاً مرتبتَهُ، وتوفِّيه حقَّهُ، فتلطِّف إذا تغزَّلت، وتُفَخِّم إذا افتخرت، وتتصرَّف للمديح تصرُّف مواقعه، فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميَّزُ عن المدح باللباقة والظَّرف، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمُدَامِ؛ فلكل واحد من الأمرين نَهْج هو أَمْلَكُ به، وطريق لايشاركه الآخر فيه»[1].

إن من أهل الصنعة من يكتب الشعر المُفْرِّطَ المبتذل القريب، ومنهم من يبدع الشعر المُفْرِطَ الغالي البعيد، وأكثرهم على إبداع الشعر المتوسط بين هذين المذهبين، ومن هنا قسم العلماء منازل الإبداع إلى ثلاثة منازل، هي:

١. منزلة التقصير والتفريط:

والتفريط في أصل اللغة من «فَرَّط في الأمر إذا قصَّرَ فيه وضيَّعَهُ»[2]، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[3]، والمراد به: «أن يكون المعنى المضمر في العبارة دون ما تقتضيه منزلة المعبَّرُ عنه »[4].

وقد أورد النقاد للتفريط في أداء المعنى كثيراً من الأمثلة، منها قول الأعشى:

وما مُزْبِدٌ من خليج الفرا تِ جَوْنٌ غَواربُهُ تَلْتَطِمْ
بأَجْوَدَ منه بماعُونِهِ إذا ما سماؤُهُمُ لم تَغِمْ

(١) الوساطة: ٢٤

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ٢٢٦

(٣) سورة الأنعام: ٣٨

(٤) المثل السائر: ٣/ ١٧٨

حيث مدح الملكَ بالجود بماعونه، وهو كلُّ ما يُستعار من حاجيات المنزل، وليس للملوك ولاالأوساط الناس مدح ببذل هذه الحاجيات، بل في مدح السوقة بها قولان، ومدح الملوك بهذا عيب وذم فاحش، وهذا من أقبح التفريط(١).

يقول ابن رشيق: «وسبيل الشاعر إذا مدح ملكاً أن يسلك طريقة الإفصاح، والإشادة بذكر الممدوح، وأن يجعل معانيَهُ جزلةً، وألفاظَهُ نقيَّةً، غير مبتذلةٍ سوقيَّةٍ»(٢).

ومن ذلك أيضاً قول الفرزدق:

ألا ليتنا كنا بَعِيرَين لانَرِدْ ... على حاضرٍ إلَّا نُشَلُّ ونُقْذَفُ

كلانا به عُرٌّ يُخافُ فِراقُهُ ... على النَّاسِ مَطْلِيُّ المَسَاعِرِ أَخْشَفُ

فالشاعر يتغزل هنا بمحبوبه، وقد تمنى أن يكونا معاً بعيرين أجربين، لا يقربهما أحد، ولايقربان أحداً إلا طردهما، وهذا من الأماني السخيفة، وله في غير هذه الأمنية مندوحات كثيرة.

ولنقارن بين هذا وقول القائل:

يارَبِّ إن قَدَّرتَهُ لمُقَبِّلٍ ... غيري فللأقداح أو للأكْؤُسِ

وإذا حَكَمْتَ لنا بَعَينِ مُراقبٍ ... في الدَّهْرِ فَلْتَكُ من عُيونِ النَّرجِسِ

فانظر كم بين هاتين الأمنيتين(٣).

(١) المثل السائر: ٣/ ١٧٩، والجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ٢٢٦ بتصرف

(٢) العمدة: ٢/ ٧٩٦

(٣) المثل السائر: ٣/ ١٧٩- ١٨٠ بتصرف

ومما عابه النقاد على أبي نواس قوله في مدح الأمين محمد بن الرشيد:

أصبحتَ يا ابن زُبيدةَ ابنةِ جَعْفرٍ أملاً لعَقْدِ حِبالهِ استِحكامُ

حيث ذهبوا إلى أن ذِكْرَ أم الخليفة في مثل هذا الموضع قبيح، وشرف الأنساب إنما هو إلى الرجال لا إلى النساء، ولكن قد تذكر الأم بغير ذكر اسمها، وهذا واضح في شعر قُتَيْلَةِ بنت النَّضْرِ في النبي ﷺ، حيث أبرزت هذا المعنى في هذا اللباس الأنيق:

أمحمدٌ ولأنتَ نَجْلُ كريمةٍ من قومها والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ

ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ ورُبَّما مَنَّ الفتى وهو المغيظُ المُحنقُ

قال ابن الأثير: «وكذلك فليكن المادح إذا مدح، وأبو نواس مع لطافة طبعه وذكائه وماكان يوصف به من الفطنة قد ذهب عليه مثل هذا الموضع مع ظهوره»(١).

ويعد شعر المديح من أبرز الأغراض الشعرية القديمة، كما يعد الافتخار هو المديح بعينه، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، فكل ماحسن في المديح حسن في الافتخار، وكل ماقبح في المديح قبح في الافتخار(٢).

وقد وضع النقاد كثيراً من المقاييس النقدية للمعاني التي يطرقها الشاعر في إبداعه شعر المديح والافتخار، من ذلك أن تسمو هذه المعاني على الابتذال دون بلوغ المحال، بل إن بعض المتأدبين تطرقوا إلى ضرورة تناسب عدد أبيات المديح في القصيدة، إلى غيرها من الأغراض، من ذلك ماذكره بعض الرجاز أنه أتى نصر بن سيَّار والي خُرَاسَانَ لبني أمية؛ فمدحه بقصيدة تشبيبها مائة بيت، ومديحها عشرةُ أبيات، فقال نصر: «والله ما بَقَّيْتَ كلمةً عذبةً ولامعنيً لطيفاً إلَّا وقد شغلته عن مديحي بتشبيك، فإن أردت

(١) المثل السائر: ٣/ ١٨١

(٢) انظر في ذلك العمدة: ٢/ ٨٢٤

المديح فاقتصد في النسيب، فكتب قصيدة أخرى شطر بيتها الأول في النسيب، ثم دخل في المديح في الشطر الثاني، فقال نصر: لاهذا ولاذلك ولكن بين الأمرين»[١].

ولما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس إنما هي: العَقْلُ، والعِفَّةُ، والعَدْلُ، والشَّجاعَةُ، كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيباً، وبما سواها مخطئاً، وكلُّ واحدة من هذه الفضائل الأربع المتقدم ذكرها وسطٌ بين طرفين مذمومين[٢].

منزلة التوسط والاقتصاد:

والاقتصاد في الشيء من: «القَصْدِ الذي هو الوقوف على الوسط الذي لا يميل إلى أحد الطرفين»[٣]، قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾[٤]، «فظلمُ النفسِ والسَّبْقُ بالخيرات طرفان، والاقتصاد وسط بينهما»[٥].

وفي اصطلاح العلماء: «أن يكون المعنى المضمر في العبارة على حسب ما يقتضيه المُعَبَّرُ عنه في منزلته»[٦].

وقد اختلف النقاد في شأن منزلتي: التوسط والغلو، قال أبوهلال العسكري: «إن الكلام إذا كان لفظه حلواً عذباً، وسلساً سهلاً، ومعناه وسطاً، دخل في جملة الجيد، وجرى مع الرائع النادر»[٧].

---

(١) ينظر في ذلك الشعر والشعراء: ١/ ٧٦ بتصرف

(٢) ينظر في ذلك نقد الشعر: ٦٥- ٦٩، والعمدة: ٢/ ٨٠- ٨٠٢، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٥١- ٥٢

(٣) المثل السائر: ٣/ ١٧٨

(٤) سورة فاطر: ٣٢

(٥) المثل السائر: ٣/ ١٧٧

(٦) المثل السائر: ٣/ ١٧٨

(٧) كتاب الصناعتين: ٦٥

وقال قدامة بن جعفر: «رأيت الناس مختلفين في مذهبين من مذاهب الشعر، وهما: الغلو في المعنى إذا شرع فيه، والاقتصار على الحد الأوسط فيما يقال منه...والغلو عندي أجود المذهبين، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه»(١).

وقال ابن أبي الإصبع: «وأكثر النقَّاد على أن خير الكلام ماكان متوسطاً بين الغلوّ والاقتصاد، والسلامة والمتانة، والغرابة والاستعمال، والتَّصنُّع والاسترسال»(٢).

وأمثلة هذا النوع كثيرة لاتحصى؛ لأن كل ما خرج عن الإفراط أو التفريط فهو اقتصاد، ولايخفى أن هذا يشمل جل الإبداع الأدبي عند العرب، ومن أحسنه أن يجعل الإفراط مثلاً، ثم يستثنى فيه بلو أو بكاد وما جرى مجراها، وذلك كقول الفرزدق:

يكاد يُمْسِكُهُ عرفانَ راحته رُكْنُ الحَطيمِ إذا ماجاء يَسْتَلِمُ

وقول البحتري:

فلو أن مُشتاقاً تكلَّفَ فوق ما في وُسْعه لسَعَى إليك المِنْبَرُ

وهذا هو المذهب المتوسط، وهو أليق المذاهب الثلاثة، وأدخلها في الصنعة، فاعرفه(٣).

وقد أطلق ابن طباطبا العلويُّ على أشعار هذه المنزلة الوسط: الأشعار المُحْكَمَةَ، ووضعها في منزلة بين الأشعار الغثة، والأشعار التي أغرق قائلوها في معانيها، وهذه

(١) نقد الشعر: ٥٨

(٢) تحرير التحبير: ١٥٨

(٣) ينظر في ذلك: المثل السائر: ٣/ ١٩٥، والجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ٢٣٠

الأشعار المحكمة، هي: الأشعار المُتقنة، المستوفاة المعاني، الحسنة الوصف، السلسة الألفاظ، التي خرجت خروج النثر سهولة وانتظاماً، فلااستكراه في قوافيها، ولاتكلف في معانيه، ولاعِيَّ لأصحابها فيها، ومثل لها بكثير من الأشعار، منها قول زهير:

سئمتُ تكاليف الحَيَاةِ ومن يَعِشْ ثَمانِينَ حَوْلاً، لاأَبَا لَكَ، يَسْأَمِ
رأيْتُ المنايا خبطَ عَشْواءَ من تُصِبْ تُمتهُ، ومَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ
وَمَنْ لايُصانِعْ في أُمُورٍ كَثيرةٍ يُضَرَّسْ بأنْيَابٍ، ويُوطَأْ بِمَنْسَمِ
وأَعْلَمُ مافي اليومِ والأَمْسِ قَبْلَهُ ولكنَّني عَنْ عِلْمِ مافي غَدٍ عَمي
ومَنْ يجعلِ المعروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ، ومَنْ لايَتَّقي الشَّتْمَ يُشْتَمِ
ومَنْ يَكُ ذا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ ويُذْمَمِ

وقول أبي ذؤيب الهذلي:

أَمِنَ المنُونِ وريبِها تَتَوَجَّعُ والدَّهْرُ ليسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ
وإِذَا المنيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَها أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ
والنَّفْسُ راغبةٌ إذا رَغَّبْتَهَا وإِذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ [1]

(١) عيار الشعر: ٨٢- ٨٤

٢. منزلة الغلو والإفراط:

ومعنى الغلوِّ في اللغة: تجاوز الحدِّ في المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها[١]، وقيل: الغلو في العلو مؤدٍّ إلى وضع الضعة[٢]، والإفراط من: أفرط في الأمر إذا أسرف فيه وتجاوز الحد، وهو: أن يكون المعنى فوق منزلته[٣]، وتُسمى هذه المنزلة في بعض المصادر بالإغراق، والإغراق فوقَ المبالغة، ودون الغلُوَّ، ولايقع شيءٌ من الإغراق والغلو في الكتاب العزيز، ولا الكلام الصحيح الفصيح إلا مقروناً بما يُخرجه من باب الاستحالة، ويدخلُهُ في باب الإمكان، مثل كاد ومايجري مجراها[٤].

وتعد المبالغة أول منزلة من منازل التعبير بعد التوسط والاقتصاد، وهي محمودة عند معظم النقاد، يليها بعد ذلك: الإغراق، والغلو، والإحالة، والمراد من المبالغة: «أَنْ تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولاتقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه، ومثاله من القرآن قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الحج: ٢] ولو قال: تذهل كلُّ امرأة عن ولدها لكان بياناً حسناً وبلاغةً كاملةً؛ وإنما خص المرضعة للمبالغة؛ لأن المرضعةَ أشفقُ على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها، وأشغف به لقربه منها ولزومه لها، لايفارقها ليلاً ولانهاراً، وعلى حَسَبِ القُرب تكونُ المحبَّةُ والإلفُ»[٥].

(١) كتاب الصناعتين: ٣٦٩

(٢) محاضرات الأدباء: ١/ ٤٤٩

(٣) المثل السائر: ٣/ ١٨٧، والجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ٢٢٦

(٤) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ٣٢١

(٥) كتاب الصناعتين: ٣٧٨

«أما الإفراطُ فمذهب عام في المُحْدَثين، وموجود كثير في الأوائل، والناس فيه مختلفون، فمستحسِنٌ قابلٌ، ومُستقبِحٌ رادٌّ، وله رسوم متى وقف الشاعرُ عندَها، ولم يتجاوز الوصفُ حدَّها، جمع بين القَصْدِ والاسْتِيفَاءِ، وسلم من النقْصِ والاعتداء، فإذا تجاوزها اتسعت له الغاية، وأدته الحال إلى الإحالة، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط، وشُعْبَةٌ من الإغراق، والباب واحد، ولكن له دَرَجٌ ومراتب»(١).

فالإفراط منه الحسن، ومنه دون ذلك، ويجوز استعماله بتفاوت بين درجاته، بينما التفريط لايجوز استعماله بوجه من الوجوه، «والتفريط والإفراط هما الطرفان البعيدان، والاقتصاد هو الوسط المعتدل»(٢).

يقول ابن الأثير: «وأما الإفراط فقد ذمه قوم من أهل هذه الصناعة وحمده آخرون، والمذهب عندي استعماله، فإن أحسن الشعر أكذبه، بل أصدقه أكذبه، لكنه تتفاوت درجاته، فمنه المستحسن الذي عليه مدار الاستعمال، ولايطلق على الله سبحانه وتعالى؛ لأنه مهما ذكر به من المغالاة في صفاته فإنه دون مايستحقه»(٣).

فإذا سمع المحدَثُ قولَ الأَوَّل:

ألا إنَّما غَادَرْتِ ياأُمَّ مالكٍ ... صَدَّي أينما تذهبْ به الريحُ يذْهبُ

وقول آخر من المتقدِّمين:

ولو أَنَّ ما أبْقَيتِ منِّي مُعَلَّقٌ ... بعودِ ثمام ماتأَوَّدَ عُودُها

(١) الوساطة: ٤٢٠

(٢) المثل السائر: ٣/ ١٧٨

(٣) المثل السائر: ٣/ ١٩١

جسر على أن يقول:

أُسرُّ إذا نَحِلْتُ وذاب جِسْمي لعل الريح تَسْفِي بي إليه

وقال المتنبي:

كَفى بِجِسْمي نُحولا أَنَّني رَجُلٌ لَوْلا مُخَاطَبَتي إياكَ لَمْ تَرَني[1]

ومن هذا الباب قول عنترة:

فازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بلَبَانِهِ وشكا إِليَّ بِعَبْرةٍ وتَحَمْحُمِ[2]

وقوله:

وأنا المنيَّةُ في المواطنِ كلِّها والطعنُ مني سابقُ الآجالِ

فالأجل لا يتقدم أو يتأخر، والطعن لا يسبق الأجل بحال، وقد يروى: سايق الآجال، وكلا المعنيين حسن إلا أن الياء أكثر غلوًّا[3].

ومن ذلك قول زهير:

لو كان يَقْعُدُ فوق الشَّمس من كَرَمٍ قَوْمٌ بأوَّلهم أو مَجْدِهِمْ قَعَدُوا[4]

(١) الأبيات السابقة في الوساطة: ٤٢٠- ٤٢١

(٢) إعجاز القرآن: ٧٧

(٣) المثل السائر: ٣/ ١٩١، والجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ٢٢٨

(٤) عيار الشعر: ٧٧

ومن ذلك (أيضاً) قول بشار:

إذا ما غضبنا غضبة مُضَرِيةً هتكنا حجابَ الشَّمْسِ أو قَطَرَتْ دما

وقال الجاحظ: لم نعلم أحداً أسرف في القول كالنابغة، في قوله:

إذا ما غزا بالجيش حَلَّقَ فوقَهُ عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ

جوانح قد أَيْقَنَّ أَنَّ قبيلةً إذا ما التقى الجمعانِ أَوَّلُ غالبِ

لأنه ليس عند الطيور في إتباع الجموع والعساكر إلا ما يسقط من ركابهم ودوابهم إذ كانوا قد رأوا ذلك من تلك الجموع وألفوه منها، فأما أن يقصدوا بالأمل واليقين لأحد الجمعين بالأدلة والغلبة فهذا لم يقله أحد(١).

ومن هذا الباب (أيضاً) قول أبي نواس:

وأخفتَ أهلَ الشِّرْكِ حتى إنَّهُ لتخافُكَ النُّطَفُ التي لم تُخْلَقِ

وقول أبي تمام:

لو يعلم الركنُ من قد جاءَ يلثَمه لخرَّ يلثَمُ منه موطئَ القدم (٢)

وقول البحتري:

ولو أن مشتاقاً تكلَّف فوق ما في وُسْعِهِ، لمشى إليكَ المنبرُ(٣)

(١) الحيوان: ٦/ ٣٢٥، والجامع الكبير: ٢٢٨ – ٢٢٩

(٢) إعجاز القرآن: ٧٨

(٣) إعجاز القرآن: ٧٨، وديوان البحتري: ١/ ١٨، وكتاب الصناعتين: ٣٧٦، والموازنة: ١/ ٢٩٦

وقول الأعشى:

لو أسندتْ ميتاً إلي نَحْرِها عاش ولم يُنْقَلْ إلى قَابِرِ[1]

ومن هذا الجنس في القرآن الكريم:﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[2].

يقول ابن الأثير: وعلماء البيان على استعمال الإفراط على ثلاثة أضرب، فمنهم من يكرهه ولا يراه صواباً، ومنهم من يختاره ويؤثره، ومنهم من يذهب إلى التوسط بين الغلو والتفريط، وهو الاقتصاد، وذلك أن يجعل الغلو وهو الإفراط مثلاً، ثم يُستثني فيه بلو أو بكاد أو ماجرى هذا المجرى (كما سبق الإشارة ذلك)، فيدرك مراده، ويسلم من عيب عائب، أو طعن طاعن، وهذا المذهب المتوسط أليق المذاهب الثلاثة، وأدخلها في الصنعة[3].

وتجب الإشارة هنا إلى أن منزلة الإفراط تتكون من مراحل متعددة، والمبالغة في معظم هذه المراحل قد تكون مقبولة عندما تصل حد الإغراق أو الغلو؛ ولكنها لا تكون مقبولة بحال عندما تصل حد الإحالة، وهي: «أن يذكر الشاعر أو غيره معنيً يستحيل وقوعه»[4].

و«الفرق بين الممتنع والمستحيل هو أنَّ المستحيل لايمكن وجوده ولاتصوُّره في الوهم، مثل كون الشيء أسود أبيض، وطالعاً نازلاً في حال واحدة، والممتنع، هو: مايمكن تصوُّره في الوهم، وإن لم يمكن وجوده، مثل أن يُتصوَّر تركيب بعض أعضاء نوع من الحيوان على جسد نوع آخر»[5].

(١) الوساطة: ٤٢١

(٢) سورة ق: ٣٠

(٣) الجامع الكبير:٢٢٩- ٢٣٠بتصرف

(٤) معجم مصطلحات النقد العربي القديم: ٤٥

(٥) منهاج البلغاء وسراج الأدباء:١٤٥

وعَدَّ العسكريُّ الإحالة من عيوب الغُلوِّ، وذكر ضابطها بأن ما لا يصلح فيه كاد فإنه لايحسن، كقول أبي نواس:

يا أمينَ اللهِ عِشْ أبداً دُمْ على الأيامِ والزَّمَنِ

وذلك أنه لايحسنُ أن تقولَ على مذهب الدعاء: يا أمينَ الله تكاد تعيش أبداً، على أنه قولٌ مشهور على ألسنةِ الخاص والعام[1].

(١) كتاب الصناعتين: ٣٧٦- ٣٧٧

الخاتمة
سمات الإبداع الأدبي الوسط

يسعى المذهب الأدبي الوسط إلى تحقيق أسمى صورة من صور الإبداع، وذلك عن طريق التوسط بين كل ما له طرفين من خصائص الإبداع، بغية تنزيه الإبداع عن التفريط والإفراط، وهذا مناط الجودة والخيرية المطلقة لا في الإبداع فحسب بل في كل جوانب الحياة.

وقد اتضح من خلال هذا البحث أن الوسط ليس نقطة بين طرفين، وإنما هو مدى بين نقطتين، يتحرك فيه المبدعون دون أن يتجاوزوا حدود التفريط والإفراط، وفي إطار هذا المدى يتكامل الناس وتتعدد منازلهم ودرجاتهم، فالإنفاق (مثلاً) وسط حده الأدنى الزكاة، وحده الأعلى بقاء الورثة لايتكففون، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، وبينهما مدى يتفاضل فيه الناس من الواقعية إلى المثالية[1].

وإذا كانت وسطية أرسطو تقوم على التداخل بين الشيئين؛ ليتكون منهما في النهاية شيء ثالث، يلغيهما أو يقف بدلاً عنهما، كالشجاعة (مثلاً) فإن العقل يولِّدها من امتزاج الجبن مع التهور، فإن الوسطية العربية تقوم على التجاور بين الشيئين مع تمايزهما وعدم طغيان أحدهما على الآخر، وهو مايطلق عليه في العصر الحديث «التعادلية»، وهي

(١) ينظر في تفصيل ذلك: منهج المعرفة من القرآن الكريم: ٩٦

تقوم على عدم طغيان موجود على موجود سواء في الأرض بين الأجسام أو في السماء بين الأجرام[١].

وفي مجال التعبير نجد أننا بحاجة إلى التوازن والتعادل بين الشكل والمضمون، لأن التعبير يستوجب وجود الأسلوب وموضوعه معاً، وقوة التعبير هي (أيضاً) توازن وتعادل بين قوة الأسلوب وقوة الموضوع، فالأسلوب البارع والموضوع التافه يثيران في النفس إحساساً بالتكلُّف، والموضوع العظيم في الشكل السقيم يثير في النفس إحساساً بالتحسر، كمن يصوغ اللؤلؤة في خاتم من الصفيح، اختلال التعادل إذن في الحالتين بين قوة الأسلوب وقوة الموضوع يحدث الشعور بأن الوضع غير طبيعي[٢].

وفي مجال التعبير (أيضاً) نجد أننا بحاجة إلى التوسط والتعادل بين قوتين، هما: قوة التعبير، وقوة التفسير والتحليل، فالأثر الأدبي أو الفني لايبلغ مكانته إلا إذا تم فيه التوازن بين القوة المعبرة والقوة المفسرة، فالقوة المعبرة وحدها لاتكفي؛ لأن الأديب أو الفنان قد يعبر عن الحياة ولكنه لايستطع تفسيرها.

وبهذا ندرك أن الوسطية في مجال الإبداع لاتقتل الابتكار والتنوع وتُكَرِّسُ ذوقَ المألوفِ كما يُقال[٣]، وإنما تُبْرِزُ فضاءً شاسعاً للإبداع الراقي الذي يحلق في هذا الفضاء بعيداً عن السوقية الحوشية في مجال الشكل، وبعيداً عن القصور والإحالة في مجال المضمون.

(١) الوسطية العربية مذهب وتطبيق: ١٣، والتعادلية مع الإسلام: ١٤١- ١٤٥ بتصرف

(٢) ينظر في توضيح ذلك: التعادلية مع الإسلام: ٩٣- ٩٥

(٣) ينظر في ذلك: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين: ٢٠٨

١ـ فهرس المصادر والمراجع.

(أ)

١. أخبار أبي تمام، تأليف: أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، نشره وحققه وعلق عليه: خليل محمود عساكر، ومحمد عبده عزام، ونظير الإسلام الهندي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦هـ= ١٩٣٧م

٢. اختيار الممتع في علم الشعر وعمله، لأبي محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي (المتوفى سنة ٤٠٥م) تحقيق دكتور: محمود شاكر القطان، دار المعارف، الطبعة الأولى ١٩٨٣م

٣. أسس النقد الأدبي عند العرب، تأليف الدكتور: أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر١٩٩٦م

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين الشنقيطي (المتوفى سنة ١٣٩٣هـ) تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م

٥. إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (المتوفى سنة ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الخامسة، دار المعارف ١٩٨١م

٦. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني (المتوفى سنة٣٥٦هـ)، إعداد لجنة نشر كتاب الأغاني بإشراف: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، من سنة ١٩٧٠م إلى سنة ١٩٩٢م

٧. أوهام الشعراء العرب في المعاني، تأليف: أحمد تيمور باشا، دار الكتاب العربي ١٣٦٩هـ= ١٩٥٠م

(ب)

٨. البيان والتبيين، تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ – ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م

(ت)

٩. تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق مجموعة من العلماء، سلسلة التراث العربي، وزارة الإعلام في الكويت، سنوات مختلفة.

١٠. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري (٥٨٥هـ- ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق الدكتور: حفني محمد شرف، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م

١١. التذكرة الحمدونية، تصنيف: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، تحقيق: إحسان عباس، وبكر عباس، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م

١٢. التعادلية مع الإسلام، توفيق الحكيم، مكتبة مصر ١٩٨٨م

١٣. تفسير الطبري (جامع البيان)، لأبي جعفر الطبري، حققه: محمود محمد شاكر، راجعه: أحمد محمد شاكر، دار المعارف ١٩٩٦م

١٤. تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب)، للإمام: فخر الدين محمد الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ= ١٩٨١م

١٥. تفسير القرآن العظيم، للإمام: أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (المتوفى سنة ٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت لبنان ١٤٠١هـ

(ج)

١٦. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تأليف: ضياء الدين بن الأثير الجزري، قام بتحقيقه والتعليق عليه الدكتور: مصطفى جواد، والدكتور: جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٥هـ= ١٩٥٦م

١٧. جمهرة الأمثال، تأليف الشيخ الأديب: أبي هلال العسكري (المتوفى بعد سنة ٣٩٥هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م

(ح)

١٨. الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(١٥٠- ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية القاهرة ١٣٨٤هـ= ١٩٦٥م

(خ)

١٩. الخصائص العامة للإسلام، الدكتور: يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م

(د)

٢٠. دائرة معارف القرن العشرين، تأليف: محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٧١م

٢١. دلائل الإعجاز، للإمام: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ١٩٨٤م

٢٢. دور القرضاوي في تأصيل الوسطية وإبراز معالمها، الشيخ: أكرم كَسَّاب، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م

(ر)

٢٣. الرأي الوسط في النحو العربي، رسالة مقدَّمة لنيل درجة الدكتوراه في النحو، إعداد الطالبة: حصة بنت زيد بن مبارك الرشود، إشراف الدكتور: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م

٢٤. الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة، تأليف: أبي اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني (المتوفى سنة٢٩٨هـ)، والمنسوبة خطأً إلى: أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن المدبر (المتوفى سنة ٢٧٩هـ)، تحقيق ودراسة الدكتور: يوسف محمد فتحي عبد الوهاب، دار الطلائع ٢٠٠٥م

(ز)

٢٥. زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحُصْري القيرواني (المتوفى سنة ٤٥٣هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الثانية، عيسى البابي الحلبي ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م

(س)

٢٦. سجع الحمام في حكم الإمام، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، جمع وضبط وشرح: علي الجندي، محمد أبو الفضل إبراهيم، محمد يوسف المحجوب، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٧م

٢٧. سر الفصاحة، تأليف: أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى سنة ٤٦٦هـ) حققه وعلق عليه وصنع فهارسه الدكتور: النبوي عبد الواحد شعلان، الطبعة الأولى ٢٠٠١هـ

٢٨. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة (٢٠٩- ٢٧٩هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وكمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ= ١٩٨٧م

٢٩. سنن ابن ماجه، للحافظ: أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧- ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، بلاتاريخ.

(ش)

٣٠. الشعر والشعراء، لابن قتيبة (٢١٣هـ- ٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف ١٩٨٢م

(ص)

٣١. صبح الأعشى، تأليف: الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي، دار الكتب المصرية ١٣٤٠هـ= ١٩٢٢م

٣٢. الصِّحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حمَّاد الجوهري (المتوفى سنه ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م

٣٣. الصنعة الفنية في التراث النقدي، د. حسن البنداري، مركز الحضارة العربية، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م

٣٤. صحيح البخاري، للإمام الحافظ: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حققه: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية ١٤٠٨م

٣٥. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بلا تاريخ.

(ط)

٣٦. طبقات فحول الشعراء، تأليف: محمد بن سلام الجمحي (١٣٩ - ٣٢١هـ)، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، بلاتاريخ.

(ع)

٣٧. العقد الفريد، تأليف: أبي عمر أحمد محمد بن عبد ربه الأندلسي- (المتوفى سنة ٣٢٨هـ) تحقيق: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الإبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة ١٣٨٤هـ= ١٩٦٥م

٣٨. العمدة في صناعة الشعر ونقده، تأليف: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (المتوفى سنة ٤٥٦هـ أوسنة ٤٦٢هـ)، تحقيق الدكتور: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م

٣٩. عيار الشعر، تأليف: أبي الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (المتوفى سنة ٣٢٢هـ) تحقيق الدكتور: عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م

(ف)

٤٠. في النقد الأدبي، الدكتور: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٢م

(ق)

٤١. قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، تأليف الدكتور: إميل يعقوب، والدكتور: بسَّام بركة، ومي شيخاني، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٨٧م

٤٢. قضايا معاصرة في الأدب والنقد، الدكتور: محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة بلا تاريخ.
٤٣. قواعد الشعر، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٠٠- ٢٩١م)، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية ١٩٩٥م

(ك)

٤٤. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تصنيف: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي١٩٧١م
٤٥. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للشيخ: إسماعيل بن محمد العجلوني (المتوفى سنة١١٦٢هـ)، تحقيق: أحمد القلاش، مكتبة التراث الإسلامي، حلب، دار التراث القاهرة، بلا تاريخ.
٤٦. الكشف عن مساوئ المتنبي، للصاحب بن عباد، ضمن كتاب الإبانة عن سرقات المتنبي، تأليف: أبي سعيد محمد بن أحمد العميدي (٤٣٣هـ)، تقديم وتحقيق وشرح: إبراهيم البساطي، دار المعارف ١٩٦٩م

(ل)

٤٧. لسان العرب، لابن منظور، بتحقيق الأساتذة: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، بلا تاريخ.

(م)

٤٨. المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه، دكتور: أحمد الحوفي، ودكتور: بدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.
٤٩. مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني (المتوفى سنة ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤هـ= ١٩٥٥م
٥٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، نشر حسام الدين القدسي بمصر١٣٥٢هـ

٥١. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم حسين بن محمد الراغب الأصفهاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، بلا تاريخ
٥٢. مختصر تفسير ابن كثير(المتوفى سنة ٧٧٤هـ)، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ= ١٩٨١م
٥٣. مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، تأليف الدكتور: ياسين الأيُّوبي، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية ١٩٨٤م
٥٤. المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، تأليف: شكري محمد عياد، عالم المعرفة (١٧٧) سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م
٥٥. مذاهب النقد وقضاياه، الدكتور: عبد الرحمن عثمان، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ١٣٩٥هـ= ١٩٧٣م
٥٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مدينة الأندلس بالهرم، بلا تاريخ
٥٧. مشكلة السرقات في النقد العربي، للدكتور: محمد مصطفى هدارة، المكتب الإسلامي ١٤٠١هـ= ١٩٨١م
٥٨. المصطلح النقدي في نقد الشعر، دراسة لغوية تاريخية نقدية، تأليف: إدريس الناقوري، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا الطبعة الثانية ١٩٨٤م
٥٩. معالم المنهج الإسلامي، الدكتور: محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٩١م
٦٠. معالم النقد الأدبي، الدكتور: عبد الرحمن عثمان، مطبعة دار النشر للجامعات المصرية ١٩٦٨م
٦١. معجم مصطلحات الأدب، الإشراف العام الأستاذ: فاروق شوشة، الدكتور: محمود علي مكي، التحرير والمراجعة اللغوية: سميرة صادق شعلان، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م

٦٢. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدكتور: أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م
٦٣. معجم مصطلحات النقد العربي القديم، الدكتور: أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى ٢٠٠١م
٦٤. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، تأليف: مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٤م
٦٥. معنى وسطية الإسلام، الدكتور: أمين محمد فاخر، مقال في صحيفة: صوت الأزهر، العدد (٤٣) الجمعة ١٩ من ربيع الآخر سنة ١٤٢١هـ= ٢١يولية٢٠٠٠م ص٨
٦٦. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تأليف الشيخ: محمد عبد الرحمن السخاوي، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م
٦٧. مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريَّا (المتوفى سنة ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م
٦٨. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (المتوفى سنة ٣٧٠هـ)، الجزء الأول والثاني تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، جـ ١ الطبعة الرابعة١٩٩٢م، جـ٢ الطبعة الرابعة ١٩٨٢م، الجزء الثالث (في قسمين كل منهما في مجلد)، دراسة وتحقيق الدكتور: عبد الله حمد محارب، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م
٦٩. الموازنة بين الشعراء، أبحاث في أصول النقد وأسرار البيان، تأليف: زكي مبارك، طبع مصطفى الحلبي، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ= ١٩٧٣م
٧٠. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، تأليف: محمد علي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة د. رفيق العجم، تحقيق د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى

العربية د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د. جورج ريناتي، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٦م

٧١. موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، وعبد الرحمن بن محمد عبد الرحمن بن ملوح، دار الوسيلة، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م

٧٢. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعة: أبي الحسن حازم القرطاجني (المتوفى سنة ٦٨٤هـ)، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨١م

٧٣. منهج المعرفة من القرآن الكريم، يوسف كمال، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م

(ن)

٧٤. نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر(المتوفى سنة٣٣٧هـ)، تحقيق: كمال مصطفى، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م

٧٥. النُّكت في إعجاز القرآن، لأبي الحسن: علي بن عيسى الرمَّاني (٢٦٩هـ= ٣٨٦هـ)، ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله، دكتور: محمد زغلول سلام، دار المعارف، الطبعة الرابعة١٩٩١هـ

(و)

٧٦. الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي: علي بن عبد العزيز الجرجاني (المتوفى سنة٣٩٣هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م

٧٧. الوسطية العربية مذهب وتطبيق، دكتور: عبد الحميد إبراهيم، الكتاب الأول: المذهب، الطبعة الثالثة، دار المعارف ١٩٩٠م، الكتاب الثاني: التطبيق، دار المعارف ١٩٨٦م

٧٨. الوسطية في القرآن الكريم، د. علي محمد محمد الصلابي، مكتبة الصحابة الإمارات، مكتبة التابعين القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م
٧٩. الورقة، لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجرَّاح، تحقيق الدكتور: عبد الوهاب، عبد السَّتار أحمد فراج، الطبعة الثالثة، دار المعارف ١٩٨٦م

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	٤٧٧
التمهيد: مفهوم المذهب الأدبي.....	٤٨٠
الفصل الأول: الوسطية مفهوم وتاريخ.....	٤٨٥
الفصل الثاني: الوسطية في الألفاظ والأساليب.....	٥٠٥
الفصل الثالث: الوسطية في المعاني والأغراض.....	٥٢١
الخاتمة: سمات الإبداع الأدبي الوسط.....	٥٣٧
فهرس المصادر والمراجع.....	٥٣٩
فهرس الموضوعات.....	٥٤٩